الشعر المعاصر

على ضوء النقد الحديث

بقلم

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

حقوق الطبع محفوظة

طبع بمطبعة التأليف بالقاهرة

١٩٤٨

وإذا كان البارودي عذر في محاولة القدماء لأنه كان يشق طريقاً سابلة في عهد أدبي مظلم ، فلا عذر لأدباء العصر من أمثال شوقي أو صبري أو الجارم ، في محاكاة الندامى واستمراء التغني على موائدهم ، وبخاصة لأن هؤلاء الشعراء قد تثقفوا ثقافة غربية ، فالأستاذ الجارم مثلاً مع ألمعيته لم يستطع التحرر من محاكاة الشعر القديم موضوعاً وصياغة إلا في النادر ، حتى لنراه في أحد قصائده يلبس عقال البدوي القديم ، ويرجّع قوله ، وما يساغ بتاتاً لشاعر عصري أن يتزيا بهذا الزي أو يخاطب هذا العصر بلهجة بدوية آبدة ، أو يكتفي بالغناء على الربابة في القرن العشرين لأن الأدب المعاصر لن يغنم شيئاً بالصور المكرورة . وأي غنم له بمثل هذا القصيد « الى الامام »[1] الموجهة من الجارم الى المغفور له الأستاذ الشيخ محمد عبده ، وقد استهلها بقوله :

المجد فوق متون الضمر القود تطوي الفلا بين إيجاف وتوخيد

أية جدوى من بعث هذه الصياغة البدوية الخشنة ؟ ولماذا سجلها الجارم هي وأمثالها من قصائد الامداح التي لا رونق لأديب منوّر ؟

ويجب أن يغرم هذا الأديب بهذه المحاكاة ، وبالصياغة الكلاسيكية البحتة ، في موضوعات أغلبها مناسبات حتى أن قارىء قصيدته الوجدانية الحلوة « ما لي نشئت ... » ليأسى كل الأسى إذ يراه ينكب عن مثلها ، ولا يتابع أسلوبها الرقيق ومعانيها اللطيفة ، وقارىء قصيدته « ضحك القدر » التي يروي فيها حالة أعمى يقود مبصراً في ضباب لندن ليعجب لعدم متابعة الرجل لمثل هذه التجارب الشعرية الحقيقية ذات الأسلوب الفني ! . ولهذا لم نكن مخطئين عندما قلنا في صدر هذه الدراسة إن قصيدة « ضحك القدر » هي التجربة الشعرية اليتيمة في الجزء الأول من ديوانه فاستمع إليه يقول فيها :

أبصرتُ أعمى في الضباب بلندن يمشي ، فلا يشكو ولا يتأوّهُ
فأتاه يسأله الهداية مبصرٌ حيران يخبط في الظلام ويعمهُ
فانقاده الأعمى وسار وراءه أنّى توجّه خطوه يتوجهُ
وهنا بدا القدر المعربد ضاحكاً ومضى الضبابُ ولا يزال يقهقهُ

(١) ديوان الجارم بك الجزء الاول ص ١١٣ ، ١١٤

ولو سار هذا الأديب على هذا النمط الشعري ، هو وزمرة الكلاسيكيين ، لتقدم الشعر في مصر تقدماً ملحوظاً ، ولكنه لم يفعل ، بل استمرأ الاتجاهات القديمة والصياغة القديمة ، وعلى هذا الطراز نحت طائفة من الشعراء في مصر ، وخرجت بعض الدواوين في السنين الأخيرة يطبعها الطابع الحضري ، وتلونها نزعة التبعية والارتماء في أحضان السادة وذوي الجاه ، وآية ذلك ، ديوان « تغريدات الصباح »[1] للأعمر ، وهو ديوان طافح بالامتداح تذكرنا بعض قصائده التكسبية ، بالمتناقضات الاجتماعية في عصره ، دون أن يكون للشاعر مبادىء مبلورة ، فعلى حين نرى الشاعر يبغي امتاع نفسه والطائفين حوله بشعره ، ويمتدح ذوي الجاه ، إذ بنا نراه يتحول الى أحد أبناء الشعب ويصفه في قطعة فنية لامعة « حنين القروي »[2] وهي من أروع شعره — وعلى حين نجده يرتدي في إبان الثورة الوطنية ثوب الثائر ، فيصف المظاهرات ، ويصف شجاعة الشعب ، إذ به يرتدي ثوب الرجعية ، فيؤيد من ألغى الدستور ، وهذا التناقض هو مرآة عصره المتناقض ، الذي لم يستطع الشاعر أن يسمو عليه ، ولم يكن هذا الشاعر وحده ، فريسة لضغط المجتمع المخلخل الذي يعيش فيه ، بل كان كثير من الشعراء غيره . وهو مع تأثره الاتباعي ، فصياغته جزلة ، حلوة متماسكة الوحدة ، ومن شواهدها نذكر قصيدته التي وصف بها المظاهرات الوطنية في عام ١٩١٩ إذ قال :

ملاحمُ بالغداة وبالعشيّ ... رعاك الله من شعب أبيّ
مشى للحق أعزل غير صوتٍ ... يردده كزمجرة الآتيّ[3]
ذوا أسفا عليه وهو يقضي ... شهيداً بالرصاص وبالعصيّ
رماه الظالمون وما رماهم ... قويلٌ للضعيف من القويّ
رماه الظالمون فلم تراه ... رأيت مصارع الزهر الندي
سلوه بعد ما ارتشف المنايا ... أيشعر في مراقده بريّ
وليس بظامىء أبداً شهيدٌ ... سقى الأوطان من دمه الزكيّ

(١) ديوان « تغريدات الصباح » طبع عام ١٩٤٦
(٢) ديوان « تغريدات الصباح » قصيدة « حنين القروي » ص ١٨٨ (٣) الآتي — السيل

وتشهد الحقيقة المرّة ، أننا لم نتقدم بمثل هذا الشعر الاتباعي التقليدي خطوة ، ولم تزد ثروتنا الأدبية ذرة ، فاذا تصفحنا الشعر المصري في أيام الدولة الطولونية أي منذ عشرة قرون ، لا نجدُ فرقاً بين هـذا الشعر ، والشعر الاتباعي الحاضر ، فقصائد قعدان بن عمرو أو منصف الهذلي ، أو سعيد القاص ، تماثل تماماً قصائد شعرائنا الاتباعيين ، فلو أخذت قصيدة للشاعر المصري « سعيد القاص » وهو يشيد بأعمال الطولونيين ويأسف على أيامهم الزاهرة ، لما وجدت فرقاً بين القرن الثالث الهجري ، والقرن الرابع عشر ، ونقتطف من هذه القصيدة [1] هذه الأبيات :

طوى زينة الدنيا ومصباح أهلها ... بفقد بني طولون والأنجم الزهر
فبادوا وأضحوا بعد عزّ ومنعة ... أحاديث لا تخفى على كل ذي حجر
وكان أبو العباس أحمد ماجداً ... جبل المحيا لا ينبت على وتر
كأن ليالي الدهر كانت لحسنها ... واشراقها في عصره ليلة القدر

وتلقاء هـذه الحالة المشجية نرانا محقين إذا قلنا إن الشعر المصري لن يتقدم إذا ظللنا على هذا الاتجاه الاتباعي ، وعلى هذه الصياغة المكرورة ، ولن تربى ثروتنا الأدبية إلاّ إذا جددنا الاتجاه وتناولنا موضوعات الحياة الراهنة ، وحسنا أدبنا بالاتجاهات الغربية الحديثة ، ولعلي آخر محدداً ، أن تكون اتجاهاتنا الشعرية غير اتجاهات القدامى ، فيتحوّل الغزل مثلاً من الضرب الرتيب على نحاء الحبيبة ، إلى الاضراب عن العواطف والانفعالات المتباينة ، وترك صور الحبيبات المطلقة الى صور محددة تنعكس فيها معاناتهن وقصاتهن . [2] وأما الشعر الوصفي فيتحول إلى شعر رقيق الأخيلة فيه صدق وشمول . وتتحول تدريجياً من الشعر الذاتي إلى الشعر الموضوعي وإلى الشعر الانساني الواسع الأفق ، على أن يكون تناول هـذا الشعر تناولاً أصيلاً مستقلاً ، سواء أكان شعراً يلتزم الأوزان ، أم شعراً مرسلاً أو حرًّا .

وقد بدأ هـذه الخطوة ، الأستاذ خليل مطران وعبد الرحمن شكري والعقاد ،

---

(١) يراجع في هذا الصدد كتاب « في الأدب المصري الاسلامي » للاستاذ محمد كامل حسين

(٢) يراجع في هذا الشعر كتاب « من الأدب الانساني » للاستاذ نجيب البهبيتي ص ٨١ ، مدرسة ١٩٤٨

وأبو شادي ، وتبعهم بعض أدباء الشباب في مصر ، ويبدو لنا أن شعراء لبنان وسوريا خطوا خطوات واسعة في التحرر من الاتجاهات القديمة والصياغة التقليدية ، ونذكر على سبيل المثال نموذجين نقتطفهما بدون اختيار أولهما من ديوان « سمر » للشاعر اللبناني غنطوس الرامي ، وثانيهما من ديوان « طفولة نهد » للشاعر السوري نزار قباني ، يقول غنطوس من قصيدة له في وصف الأعمى

ظلام ظلام ودنيا تنام
وليل أبد [1] بعيد الأمد
كثيف الغيوم بغير نجوم
وكيف يكون الضياء وصفو السماء والماء ؟
وكيف يطل القمر ويمحو السحر في الشجر
وكيف تفح الزهور ويجري العبير في الأثير

سواء سواء

وكل الوجود ظلام سود
ودنيا تنام بمحض الظلام !

ويقول « نزار » في قصيدته « حلمة » [2] ذات الصياغة الأصيلة ، والأخيلة الطريفة :

تهزهزي وثوري يا خصلة الحرير
يا مبسم العصفور يا أرجوحة العبير
يا حرف نار سائحاً في بئر كفي عطور
يا كلمة مهموسة مكتوبة بنور
سحراء ، بل حراء بل لونها شعوري !

* * *

يا حبة الرمان جنني والعبي ودوري
وزقي الحرير يا حبيبة الحرير !

---

(١) الأبد = الدائم (٢) ديوان « طفولة نهد » ص ٢٢

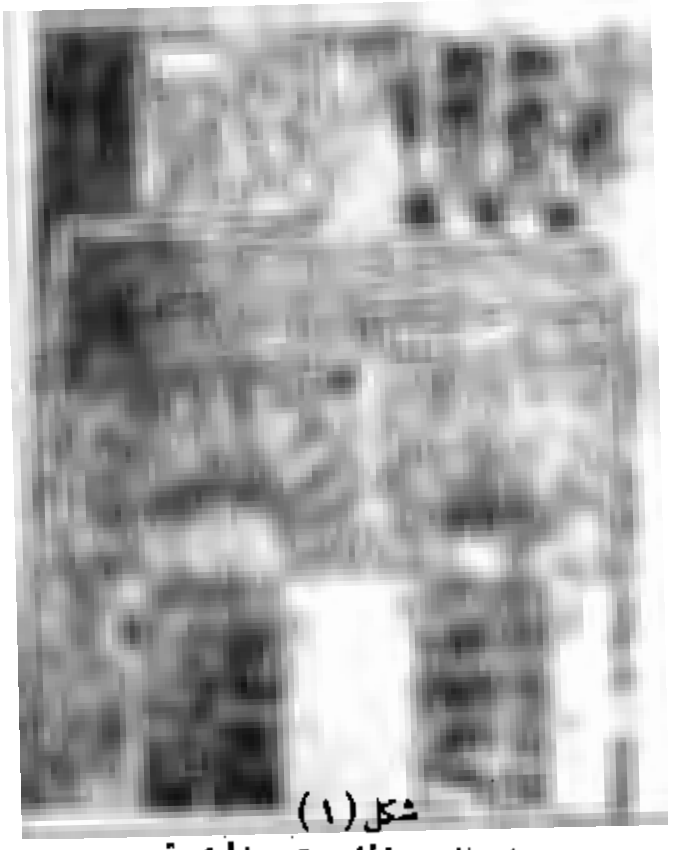

شكل (١)
محراب المسجد الخاص بقصر الجعفرية

شكل (٢)
عقد مفصص محفوظ بمتحف مدريد الأثري

عالم القلب

شعر علمي

يا قلبُ مالك خافقاً لا تهمدُ ... هل هاج فيكَ الشوق فذْ أملدُ ؟
وبنـاءُ صرحكَ موشكٌ ينهارُ ... لولا أنه لمروّة يسترددُ
قل لي: أمن طرب خفوقك أم ترى ... من عاصفات هوىً يقيمُ ويُقعدُ ؟
أفما ملتَ انبض كلَّ هنيهةٍ ... في سجنِكَ المحتوم وهو مؤبّدُ ؟
هل أنتَ مقياسُ الزمان مُعدَّدٌ ... خطراته ؟ عبثاً تعدُّ وتسردُ
تمضي ثوانيه العسر وهي كثيرةٌ ... والعسر مهما طال فهو معدَّدُ
العسر ثانيةٌ من الدهر المديـ ... ـد عبدّداً والعسرُ لا يتجدّدُ
والدهر ثانيةُ الزمانِ، فسرمدٌ ... متتابعٌ لا أمس فيه ولا غدُ
لولا تصفق جانبيكَ لما جرى ... زمنٌ عليك ولا تحقق موعدُ
فإذا تحركتَ الثواني أسرعت، ... أم لا، انتهى فيك الزمان الأوحد
حتى مَ تحصي للزمانِ ذنوبه ... تعزو اليه أساك حين تنكّدُ
وهو البريء وأنت تركبُ الخطا ... أنت الزمانُ الراعد المتوعّدُ
ترجو به عمراً سعيداً، فارتشف ... كأس الهوى، عمر الصبابة أسعدُ
تشكو تباريح الغرام، ألا ترى ... إن الحياة حبا تتوجّدُ
بالحب تحيا، والحياة محبةٌ ... إن لم تعش حبّا فتلك جلمدُ

والشوق من شيم الهوى إن لم تذب شوقاً فأنت العاشق المتمرّد

***

يا قلب ينبوعَ الحياة لكل من ملك الثرى يطيب الوردُ
وزعته بين الجوارح والحشى لحمه والجسم الغبيّ يبدّدُ
للجسم راحته ومتعته وحين كراه أنت المجاهد المتشهّدُ
فاذا دنا منك الردى قالوا لقد حبط الفؤاد وخاب فيه المقصدُ
وتجاهلوا الشهوات والافراط إذ أوهت قواه ولا تني تتبدّدُ
حتى إذا هبط العهد تقوّض البنيان وانقضّ الحمامُ الأسودُ
وانهارت الذات معه والمنى وتقلص الثرى وضاق المرقد

***

يا نفسُ جرتِ على الفؤاد لتهنئي ، لتستبدّ لهواكِ وهو السيد
خسرتِ وخسرت ذاتك والهوى وكذا يبيد الجائرُ المتعمدُ
مَثَلُ القلوب مع النفوس عنيفةً مَثَلُ المجاهد للجماعة يجهد
نشأ بفعل الخير تشقى دونها نشأً منعّمةً تعيث وتفسد
هذي على حاتيك تلقي عبأها هذي تنوء وهذه لا تُنهِدُ
كالقلب لما اعتلّ ناءَ بعبئه والنفس لم تشفق فعاش المُفسَدُ
فلذاك راجت في الجماعة سنةٌ هي شرُّ ما فتنَ الأنام وأكّدُ
الغُرمُ للابرار مهما أحسنوا والغنم للاشرار مهما أفسدوا

الأداء في الفن

إذا ما كانت مادّة الفن هي التجربة التي تخلق بين الفنان ومتذوّق الفن نوعاً من المشاركة الوجدانية ، فإن طريقة أداء هذه التجربة ، بحيث يستوعبها ذهن القارىء — باعتبار أمثلتنا من الأدب — هي الخاصة الأولى في الفن ، لأن بها تستحيل الحركة الجائشة في الوجدان الى خلق ناضج ، وقطعة كاملة البناء

فما هي الطريقة التي يتم بها أداء الفن ؟؟

أتكمن في الابتكار والخلق الجديد ، ثم اضفاء الثوب القشيب على كل من الابتكار والخلق الجديد ؟؟

كلاّ ..

وانما هي في بعض من لحظات شعورية في الحياة ، وفي بعض من نفس المدركات الحسية التي يستوعبها ذهن الفنان ، ومن هذين نستمد عناصر التجربة ، التي هي مادّة الفن ، والتي اذا انطبعت على الحياة ، لا تخرج بزيادة عنها ، ونقص عنها ، وانما هي حياة كاملة ، حياة قد يضفي عليها الأداء الفني بعض التوهج الذي يجعلها تنبض بالإحساس العظيم ، والاشراق الساطع .

فاذا انتهينا من أن كل تجربة تصلح أن تكون مادّة للفن ، أمكننا أن نعرض لناحية أخرى وهي طريقة السير في الموضوع ، وهو بعينه ما نسميه بالأداء الفني .

فإذا ما كان الفن موكلاً بالمؤثرات الفردية ، فن طبيعته — حينئذ — أن يعرض سياق موضوعه جزئياً جزئياً ، ثم يكون من توافق هذه الجزئيات القطعة الفنية الكاملة ، وهي التي تنطبق عليها مقاييس النقد ، التي بها يكون الأداء في الفن على نحو صحيح ، ومع قيام ويلاحظ أن النظر الى التجربة تتبعه ظلال وأضواء ، تساعد على تجسيم المعاني في الذهن

وتخيّل الصورة التي تقرب من الواقع ، وتجانب الشعاعات كل من الأسراء والنازل من ثنايا المدركات الحسية ، وهذه تتناسب طرديًّا إزاء وضعه الثابت ، ومداه من حيث الكم والكيف ، ومن هذا جميعه ، يمكننا أن نقول إن بداية الفعل الفني الكامل ، تنحصر في الاستهلال ، وهذا الاستهلال يكون مستمدًّا — بالبداهة — من الحركة الأولى ، التي تتبعها الحركات المتدافعة المسلسلة ، وهي التي نرمز لها — في النفس مثلاً — بالمد ، وهذا ما توضحه بداية قصيدة « بعد الأوان »[1]

... يبدؤها الشاعر بهذه البداءة

الآن والأيام مدبرة تولول بالعويل
والآن مخضوب الأديم وقد تأذّل بالرواح
أقبلت ويحك تبتسين فأين كنت لدى الصباح
وجه الخريف يظل مستعبي لأعوال الرياح

وهذه الأبيات بداية حادثة شعورية ، هي حب توهج في غير أوانه ، أو هي قصة قلب ظامئ الحب ، فلما نضب معينه ، وجفّ ظمؤه ، جاء الحب إليه ساعياً ، فكان التحسر على ما ولى وضاع ، وكان الأسف على أيام الشباب التي مضت هباء ، ثم افتراق الشبحين ، وخطاهما حيرى على الطريق ، والأيام تندفع في دورتها ، ترمقهما في سخرية . سخرية مريرة من أبناء الفناء التعساء ، ومن شبحين قد هجرا فلم تشعر بهما ، ولم تحفل بظلهما . إلا كما تشعر الأشباح وتحفل بالظلال .

وهذه الأبيات — كاستهلال — تصور الانفعالات بوجهة عامة ، ثم تعرض التجربة عرضاً بدائيًّا ، فيه الصاب الصارخ الذي يوشك أن يكون زجراً قاسياً ، ولكنه لا يبلغ أن يكون كذلك ، وإنما يكون في تتابع العرض ، وفي ثنايا القصيدة كلها ، التي تصور الانفعالات بجزئياتها ، واللمحات الشعورية في تدافعها .

فإذا ما نظرنا إلى ما يلي الأبيات السابقة من القصيدة .

(١) سيد قطب بعد الأوان

بعثرت أيام الشباب ، فرمح أيام الشباب
لا تستقي إلاّ على رنق وأنفسنا غضاب
لم نصف كأس حياتنا يوماً ولا لذّ الشراب
والآن تنطلقين في لهف إليّ وفي ارتقاب

نجد إن هذه الأبيات تؤلف مع سابقتها معنى ، ولكنه لا يبلغ درجة الكمال ، إلاّ أنها تضفي عليها شيئاً من التوهج ، وشيئاً من الايضاح تتجربة ، تساعد على ابرازها سماتها المميزة ، التي تتوافر فيها الصورة والحركة والايقاع .

فإذا ما تتبعنا القصيدة

عيناك والمتان لاعنتاق كلهما دعاء
وحنين ملهوف تطلع في ثنوت لنداء
ويحي فأين أنا وأين حنين أيامي الظماء
صمت الخريف يلفني وطيه شارفت المساء

* * *

وهنا نبضات حارة من قلب انسان ، انسان عظيم الاحساس ، عميق النفس ، محتدم القلب وهذه النبضات الحارة تؤلف من سابقتها ، صورة نفسية شائقة ، أو بعض صورة ، أو ان شئت فقل لمحة شعورية من الحياة ، تستطيل برشاقة الألفاظ التي لن تخرج عن كونها الرموز والاشارات . لمل زاوية التقطها الشاعر من ثنايا أحاسيسه الجائشة .

وإذا ما تتبعنا نبضات قلبه .

ذهب الزمان هناك فمضي أنت حتى
ما عاد يوقظني تذاؤك خاشعة من بعد وهن
ماتت مناي جميعها ، فعلام يخدعني التمني
فرق الزمان طريقنا ، فلمضي وحسبك ذاك مني

وهنا نلتمس التوهج في النغمة الكاملة ، أو التي تقرب من الكمال — حتى هذه الرباعيات — فهي تصور أحاسيس الشاعر المحتدم القلب ، ازاء النداء الذي انبعث « بعد

الأوان » . فما عاد يوقظه خلسة ، وقد خبا وميض أمانيه ، وماتت أغاني الحب للشرق على شفتيه ، وما عاد سوى يد راعشة تضرب على أوتار متقطعة .

وطريقة الأداء ما هنا تتناسب وتتابع الرباعيات السابقة ، وتتناسب وتتلاحق الرباعية الأخيرة التي يصوّر فراق الشجيين ، وقد طمست الريح خطاه الواجفة على طريق اللانهاية وهذه هي الرباعية .

هذي خطاي على الطريق وتلك واجفة خطاك
الريح تطمسها فلا أخطو ولا أثر هناك
شبحان قد عبرا فلم تقمر بهذا أو بذاك
تتلوها الأشباح والأيام ماضية وراك

ونلاحظ في هذه القطعة أن الموضوع يتدانق متقطعاً بحيث أن كل رباعية تؤلف زاوية من المعنى العام الذي تحمله المقطوعة ، ثم يكون من تتابع هذه الجزئيات المتقطعة التي تشتمل كل منها على « نقطة » ذلك الاحساس العميق الذي لا يكون سوى تتابع المقطوعة جميعها ، من مجموع تتابع الجزئيات ، ومن الظلال والايقاعات التي تساعد على ابراز المقطوعة في الصورة الحسة المتخيلة .

وهذا بعينه موجز الموضوع الذي يعرضه هذا الفصل : تتابع الجزئيات ، وطرائق العرض العام .

ومن هذين نستمد عناصر السير في الموضوع ، وبغيرها تكون تلك البعثرة المشوشة ، التي لن تخرج من كونها آثار عقل مضطرب .

ومن هذين تكون المقاييس التي تنطبق عليها النماذج الأدبية — والتي تبرز واضحة في الشعر — فهي لا تظلها بظل تأمي ، ولكنها تبرز زيتها من صفحها ، لأن الاحساس الصادق ، ينتج التتابع الصادق ، وهو بعينه الفن الصادق .

وانّ الأمر ليتطلب نفاذاً الى النفس الانسانية التي تشتمل على عوالم مغلقة فيها الأسرار والخفايا ، وفيها المضاء والعزعة ، ثم استكناهاً لها غير مقيد بتلك المقاييس التي تفرض نفسها على الفنّ فرضاً ، فلا تخرج من أنها مسخرة لخدمة هذا الغرض . ودمية في يد ذاك

اللاعب ، ولكنه مع ذلك يسير ويمضي في قافلة النقد ، ويعين في السير والمشي في قافلة النقد .

وأقول نفاذاً الى النفس الانسانية ، لأننا لا نستطيع أن نفرض أنفسنا قضاة نتصدى للأحكام على الآثار الأدبية قبل أن نعرف الفوارق الواضحة بين نفس ونفس ، لأنها بعينها إضاءة الفوارق البادية بين سمات فن وفن ، ومن هنا كانت المعرفة النفسية — التي تلذيت بها — هي التي ترجح صنعة النقد ، فلا ينحاز ناقد الى جانب فنّ دون فنّ ، لا لشيء سوى لأنه قد افترض في الجميع درجة واحدة ، قد يراها الترجح ، فلا يكون سواها الفنّ الصادق ، وهذا في زعمه ، ولكنه ليس من مقاييس النقد ، ولا من تعبيرات الفنّ .

أما تتابع الجزئيات . فأحسب أن المثال يبرزه في وضوح ، والقياس الذي تنطبق عليه النماذج الأدبية ، يمكننا أن نستخلصه في التقديم والتأخير في الأثر الأدبي ، فاذا ما انتهينا من القطعة — بعد التقديم والتأخير — بنفس النتيجة التي ننتهي منها في حالتها الأولى الأصيلة ، كانت القطعة ليست من الفن الذي يتسم بالصدق ، فاذا ما قال قائل :

« لماذا ؟؟ » دون أن يحاول النفاذ الى كنه النفس الانسانية — كما أسلفت — حقّ لنا أن نتهم رأيه بالجمود وضيق الأفق ، بل حقّ لنا أن نتهم رأيه بالغباء والجهل بالنفس ومساربها .

لأن الخلجة النفسية الصادرة ، التي تبعث في حرارة وانفعال ، تكون لها ظلالها ومعانيها وتكون لها درجاتها المتدافعة في ترتيب لاسيطرة للذهن عليه — سيطرة تامة — ولكنها تصور المعنى العام متتابعاً ذلك التتابع الذي يشق وبداية الأحاسيس والمشاعر ، ونهاية هذه الأحاسيس والمشاعر .

ففي القطعة السابقة نجده قد صوّر انبهالها عليه ، ولكن بعد الأوان ، ثم عرض لأيام الضباب التي ولت ، ثم تطلعها الواله ، ثم موات أمانيه ، حتى تتفرق الأشباح .

وهذا بعينه احساسه الذي لا يخرج بزيادة هنا ونقص هناك ..

أما اذا ما حاول تصوير افتراق الشبحين ، ثم نظراتها الواهلة ، ثم ... حتى نهاية ما افترضناه من تقديم وتأخير ، فإنه يتهم بالزيف في العواطف ، وفي حساسية الفن . .

وفي انه صاحب تعبير لمجرد التعبير ، فتتلاشى الظلام للأثر الفني ، فتجدها متشكلة أشكالاً هاهنا وهناك ، في بحرة وشتشتة ، وفي نشاز تنقصه سلاسة الأداء . .

ومن هنا تكون مواضع النقد الأدبي ، ومن هنا تكون مقاييسه ، هي مواضع النقد التي منها يمكننا أن نتلمس طريقنا في بيان الآثار الأدبية ، وهي مقاييس النقد التي بها يكون التعبير تعبيراً وبدونه لا يفلح فن ولا يستقيم تعبير .

ولكن النقد عندنا — دائماً — معصوب العينين ، تنقصه المعرفة النفسية التي تخلق بين الفنان وأثره نوعاً من المشاركة الوجدانية الصادقة ، وبين الأثر الفني طرفاً من هذه المشاركة . .

ومن أمثلة النقد المعصوب العينين ، ذلك الاطراء والمديح الذي ناله شعر شوقي الذي يحشد الألفاظ ذات الجرس الفخم الايقاع ، ويكفل الايقاع الذي يشبه ما يأتي في حلقات « الذكر » .

ولكن المنطق شيء ، ومجرد الاطراء شيء ، وهان أمر الفن إذا ما نال كل أثر ضئيل حظه من الاطراء والمديح ، مما يتناسب وما يأتي لصاحب الاطراء والمديح ، ولكننا نهتم قبل كل شيء — ودون تعصب لمدرسة أو مدرسة من مدارس الشعر — ان نطبق عليها مقاييس النقد ، والتي يعرضها هذا الفصل خاصة بطرائق الأداء ، وبتتابع الجزئيات ، ثم المعنى العام والظلال النفسية التي يكون أثرها في نفس القارىء . .

اما طرائق العرض العام ، فهي ان تكون القطعة الفنية — بصفة عامة — لمحة شعورية من مجموع اللمحات الشعورية التي تجيش بمشاعر الفنان ، وما قد تكون مادته التجربة الأصيلة التي تخلق ما يسمى بالتوصيل .

وهذا بدوره يتميز بتميز ألوان الأدب — باعتباره نموذجاً في الفن — فالشعر يختلف عن القصة ، والقطعة النثرية تختلف عن الشعر والقصة ، ولكن الجميع يتحد في اثنين : تتابع الجزئيات ، وطرائق العرض العام .

وهذا ما يحتاج الى تفصيل دقيق شامل ، نخص به كل لون من ألوان الأدب ، وأحسب أننا في عدد قادم نستطيع ذلك .

صحي سفيي

مكتبة المقتطف

ألمع ساعات الحرج
في تاريخ الانسانية

لمؤلفه الاستاذ محمد مفيد الشوباشي : الطبعة الثانية : ١٩٤٧ : ٢٥٠ صفحة من القطع الاوسط

جمع المؤلف في هذا الكتاب بين سور عديدة ، كلها صور ممتازة في تاريخ الانسانية وعبر بكتابه مصوراً ومصوراً ، من عصر كليوبطرة الى عصر الرئيس روزفلت . على أن الذي ينظر في هذا الكتاب نظرة ناقد حر ، يظلم مؤلفه إذا طلب منه أن يكون بين فصول كتابه وحدة شاملة . فالكتاب في « ألمع ساعات الحرج » التي يذكرها التاريخ ، وقد تكون ساعة منها قبل الميلاد بقرون ، وأخرى بعد الميلاد بعشرين قرناً . فكيف تطلب وحدة الموضوع في مثل هذا البحث ؟ إلا أن يكون السحر وحده أداة الكاتب في خلق هذه الوحدة .

وصديقنا مؤلف هذا الكتاب شاعر تأثر ، لا تنكر عليه الشاعرية ، ولا ينكر عليه النثر . فأسلوب هذا الكتاب أسلوب أدبي ممتاز ، سهل العبارة سلس الأداء . أما كتابه « أرميا » الذي سوف نقدم على نقده قريباً ، فدليل على ذلك وأي دليل .

***

والكتاب في مجموعه أثر أدبي يؤلف عند القارىء فكرة شاملة من الأخطاء التي تقتحمها الانسانية في أجزاء من تاريخها ، بل إنه يعطيك صورة من الانسان والانسانية .

تاريخ الحركة القومية
وتطور نظام الحكم في مصر

تأليف الاستاذ الكبير عبد الرحمن بك الرافعي : جزءان الاول والثاني :
الطبعة الثانية ويقعان في ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير

أصبح الأستاذ الرافعي بك مؤرخ النهضة الحديثة غير منازع . ولقد بدأ كتابه بعصر المماليك ليجلو لنا بحث ما كانت عليه حالة البلاد في عصرهم وأحاط بالعوامل السياسية والجغرافية التي مهدت للحملة الفرنسية وكانت سبباً من أسبابها ، وعطف على العصر الذي تولى فيه نابليون السلطة في مصر فحلله أشمل تحليل وأبان عن نواحيه العديدة بروح المؤرخ وأسلوب الأديب . ناهيك بأنه أرّخ للثورة المصرية في عهد الفرنسيين تاريخاً صحيحاً بيناً وأظهر ما يكمن في جوانح هذا الشعب من وطنية ووعي قد أخذت آثاره الحقيقية تظهر جلية واضحة في حياتنا الموقتة بإذن الله في فلسطين .

ومن أمتع فصول هذا الكتاب ، وهو يدل على عبقرية تاريخية ممتازة ، الفصل الثالث عشر الذي تناول فيه المؤلف « نتائج ظهور العامل القومي » في صراعنا مع المستعمرين .

على أن الكتاب في جملته قطعة فذة من التاريخ ، وصورة رائعة من الوطنية

معالم تاريخ الانسانية

تأليف هـ . ج . ولز : ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد : ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير

الكاتب الانجليزي ولز أول من كتب في التاريخ الانساني منتحياً منحىً جديداً له ، محصله ، أن التاريخ لا يفهم إلا اذا ارتبطت فيه الناحية الانسانية بالناحية الطبيعية ، الاحيائية ، وخلص من آثار الفكرة القديمة فكرة أن التاريخ ليس الا ذكر الحروب والملوك والاخاقين الذين أحدثوا في تاريخ البشر أعظم ما يذكر التاريخ من سيئات الطبع والخلق . وعلى هذا المذهب كتب تاريخه « المعالم » بطبقاً مذهبه هذا . فكيف يفهم تاريخ الحضارات القديمة من غير أن يلم الباحث بتاريخ الانسان قبل التاريخ المكتوب ، وكيف يلم بهذا التاريخ نفسه من غير أن يلم بنشأة الانسان ونشأة الكرة الأرضية والنظام الشمسي قبل أن يكون الانسان ؟

ولقد بذل الأستاذ المترجم في هذا الكتاب جهداً يجل عن مجرد الشكر لقاء ما قدم لثقافة هذا العصر من علم وأدب وتاريخ طويت كلها بين دفتي هذا الكتاب المفيد . وعندي أن رجال التعليم لو اعتبروا حقيقة ، لجعلوا هذا الكتاب مادة لدرس التاريخ في معاهد الثانوية والعالية ، فانه ولا شك يفتح آفاقاً واسعة ويزاوج بين ما تناثر من تاريخ البشر ، بإحداث رابطة طبيعية احيائية بين ما فعل الانسان وما فعلت الطبيعة . وكفى بذلك قيمة علمية . والكتاب حسن الأسلوب طيّع العبارة صحيح النقل .

كتاب الكندي الى المعتصم بالله

في الفلسفة الأولى

لمحمد عبد الهادي ابو ريدة الاستاذ بدار العلوم بجامعة فؤاد الاول . ١٤٨ ص من القطع المتوسط

من الدلائل الصحيحة على أن الحركة الفلسفية في هذه البلاد قد اتجهت الى العمل على تركيز قواعدها انصراف جملة من رجال العلم الى النظر فيما ترك أوائلنا من الآثار الفلسفية والأدبية والفقهية . أصول الأدبية والفقهية لأن العصر الذي خرجت فيه هذه الآثار قد امتزجت فيه هذه العناصر جميعاً نترك ذلك لأدل هذا العصر ميراثاً يحتاج الى تنقية وتنمية وتشييد وعمل على استخلاص ما تداخل من الفلسفة في الأدب وما تداخل في الأدب من فقه وما غزا الفقه نفسه من عوامل الأدب ومذاهب الفلسفة

* * *

ولقد آثر صديقنا الأستاذ الاهواني ان يكون من مؤثري الحكمة العاملين على تخليص تراثنا الفلسفي من آثار ذلك التخالط الذي كان سبباً أولياً في عجزنا عن فهم الفلسفة القديمة التي خلفها أوائلنا فهماً صحيحاً . فقد عقد فصلاً في تحليل الرسالة الخطية وهو من أمتع فصول الكتاب وأدل برأيه في قيمة هذه الرسالة من الناحية الفلسفية فانتهى منها جديداً قوامه النقد الصحيح . فهذه الرسالة وظهورها في هذا العصر دليل قاطع على إننا سائرون نتجه في درس الفلسفة ذلك المتجه الذي سوف يصل بنا الى أشهى الثمرات .

نظم الحكم في مصر في عصر الفاطميين

٣٥٨ — ٥٦٧ هـ — ٩٦٨ — ١١٧١ م

تأليف دكتور حسن عطيه مسطى مشرفة : ٤٤٠ صفحة من القطع الكبير

كان عليَّ أن أؤدي الواجب الضَّحي نحو هذا الكتاب قبل زمن مضى ، ولكن من الافراط ان يصدر الناقد حكمه في مثل هذا الكتاب قبل أن يتم درسه بعناية : فالكتاب قطعة من التاريخ في عصر من عصوره ، تناول نظم الحكم في عصر الفاطميين . وعصر الفاطميين كما نعلم جميعاً قد شغلت في كثير من المراجع مطبوعة ومخطوطة . ولازمن التوفيق الكبير لأخينا الدكتور حسن عطيه مشرفة أن يرجع الى بعض المصادر المخطوطة التي لم يعتمد عليها مؤرخ أو باحث قبله .

ومن أعظم الفوائد التي يجنيها دارس هذا الكتاب وقوفه على كثير من الأشياء الخفية في نظام القضاء خاصة . فان الفصل الذي عقده المؤلف في اختصاصات القضاء والقضاة من أمتع الفصول وأكثرها فائدة . كذلك يعرفنا الكتاب مجموعة من المصطلحات الفقهية وألقاب أصحاب الدولة والدواوين وأصحابها ونظام الجيش والادارة ، فهي أشياء ينبغي أن تسجل في معاجمنا التاريخية ، لاسيما وان المؤلف قد عرفها وشرح خصائصها أمتع شرح .

والكتاب حسن الاسلوب والنسق ، وقد بُوِّب على أحسن ما تبوَّب كتب التاريخ . فهو مرجع من مراجع التاريخ الفاطمي لا يستغني عنه صفيٌّ بهذا العصر التاريخي العجيب .

السيد البدوي

أو دولة الدراويش في مصر

تأليف الاستاذ محمد فهمي عبد اللطيف : ١٦٢ صفحة من القطع الاوسط

من أمتع ما صدر من الكتب في العهد الأخير ، فقد جمع بين التاريخ والنقد والأدب ، وأظهرنا على ناحية من تاريخ مصر لعب فيها الدين والسياسة دوراً عظيماً وكشف عن هو السيد البدوي أكبر قديسي الوجه البحري تأثيراً في عقائد أهل الريف ، وأبان أن تلك الدعوة التي قام بها لم تكن غير دعوة سياسية باطنية ، وإنه لم يكن غير داعية لمذهب

الفاطميين السياسيّ الذي شابه كثير من بدع الدين ، بعد أن تقلصت دولتهم ودخلت مصر في حكم الأيوبيين .

* * *

والكتاب ناحية فذة حقيقة ، فقد تناول ما يتناقل الناس من خرافات سيقت على مدى العصور وألصقت بالسيد البدوي ، وأظهر أن هذه الخرافات لم تكن غير أداة سياسية اتخذها مريدوه سبيلاً الى التأثير في العوام ليكونوا في يدهم مجينة لينة يخدمون من طريقها مذهبهم السياسي .

والبحث من البحوث المبتكرة ، وقد فانى مؤلفه في جمع مادته جهداً يشكره عليه المؤرخون ورجال الفكر في هذا العصر .

ألحان الحان

أبو نواس في حياته اللاهية

تأليف الاستاذ عبد الرحمن صدقي : ٤٢٤ صفحة من القطع الكبير

كان من الحق لو أن المؤلف الفاضل قدم على كتابه هذا « أبو نواس في مباذله » ، فلم تكن حياة أبي نواس على ما جليت في هذا الكتاب حياة لاهية لا غير ، بل كانت حياة تبذل أصبحت عنواناً على عصره . ولكن من الصعب أن يكون أبو نواس أول شخصية في التاريخ كله أخرجت بين التبذل والاباحية مذهباً برمته في الشعر ، ونحواً برأسه من مناحي الأدب . فان لمباذل أبي نواس طعماً خاصًّا وعذوبة يستسيغها الطبع ودقة هي النعمات العليلة في اليوم الثائظ ، بل هي الحسناء الفاتنة في ماوية راق ماؤها وصفا . غير أن هذه الصور لم تجل قبل أن يكتب صدقي ألحان حانه هذا أو حان أبي نواس . فان قوة السبك ومتانة الأسلوب ورشاقة العرض ودقته من الآثار الأدبية البينة في صفحات هذا الكتاب . فأدب هذا الكتاب وأسلوبه من المأثورات ولا شك . جرى فيه مؤلفه على أسلوب انتحى فيه القدماء على جدة في الترتيب والاداء ، فجمع بين عصرين كبيرين من عصور الأدب العربي .

الكتاب السنوي

لجمعية هواة الدواجن : ١٨٤ صفحة من القطع الكبير

تؤدي هذه الجمعية للثروة الاقتصادية والمالية خدمة مذكورة . وهي فوق ذلك تخدم العلم من غير أن يكون العلم غرضها الأول . فان داروين صاحب النشوء المشهور قد كتب فصولاً ممتعة في كتابه أصل الأنواع معتمداً على ما استجمع هواة الطيور والماشية من حقائق استمدوها من تجاربهم، ولم يكن لهم من علم بما تنطوي من حقائق العلم : والجمعية إذ تنشر كل سنة كتاباً طبياً سنوياً تؤدي الآن مثل هذه الخدمة العلمية ، فوق ما تؤدي من خدمات للاقتصاد والثروة الأهلية .

أما رجالها فهواة متطوّعون لهم على جهدهم أعظم الأجر ، وأعظم الآثار التي خلفها الانسان هي تلك التي خرجت من مجهود ذوي الهواية . فان هواياتهم تصبح جزءاً من حياتهم وبذلك ينجحون . وحبذا لو اتجهت الجمعية اتجاهاً جديداً فتجعل من عملها الرئيس أن تبحث تاريخ ضروب الطير والماشية وتطورها في هذه البلاد ، ومن أين دخلت وفي أي عصر ، وماذا كان لها من أثر في الاقتصاد القومي ، فان ذلك من أهم ما يستفيد به المشتغلون بتحسين الانسال في أنحاء العالم أجمع .

المُسنَد

للامام احمد بن محمد بن حنبل : شرحه ووضع فهارسه الاستاذ احمد محمد شاكر

الجزء الرابع ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير

لقد خدم صديقنا الفاضل الأستاذ شاكر علم الحديث خدمة ممتازة بنشره هذا الكتاب وقد أتاه على ذلك درس طويل واكباب حرّ على توضيح مسند احمد وشرح غريبه وبيان مبهمه بمقارنات نقدية كثيرة كبيرة القيمة . بل ان هذه الطبعة تجعل الامام بأحاديث المسند أقرب تناولاً وأسهل مأخذاً . فالكتاب بصورته الفذة مسند ضروري لكل من اشتغل بهذه العلوم من الفقهاء والأدباء والمؤرخين .

الحياة السياسية

الاستاذ عبد المجيد نافع الغلاي — ٢٦٧ صفحة من القطع الكبير

دار النشر للجامعات العربية

إذا ذُكرت الحياة السياسية في مصر في الحقبة الأخيرة من الجهاد القومي وذُكر أكفاؤها، فان الأستاذ عبد المجيد نافع في مقدمة الذين مارسوا هذه الحياة عملاً وعلماً، ولم يتخذها وسيلة وغُنماً. فلقد جاهد في معتركها صحفيًّا وناشئاً فكان الجريء الذي لا يبالي الجماهير، ولا يبالي في إبداء رأيه سخطاً أو رضىً ما دامت عقيدته في هذا الرأي تبلغ مرتبة الايمان القوي راضية عنه مطمئنة إليه

وهو إلى جانب هذه الصفات يمتاز بأسلوب أدبي رصين يستمدُّ من طبيعته عناصر قوَّته، ومن ثورته مظاهر حيويته. فهو قوي العبارة متين التركيب مشبوب التعبير، دائم على دعائم من الحجج والبراهين، تملؤه أعصاب ثائرة دفّاقة، يلهمه اطلاع واسع على أحداث التاريخ وعبره. وهذا خير الأساليب للوطني المجاهد.

ولقد دفعته غيرته على الحياة السياسية إلى إخراج هذا الكتاب يرسم به أمام أعين الذين يلجون أبواب هذه الحياة سبيل الهدى فيها. وقد حرص — كما يقول — على أن لا يكون ما ألفه كتاباً سياسيًّا، وإنما يكون كتاباً في السياسة.

* * *

وقد استهلَّ كتابه هذا ببحث في السياسة يدلّل فيه على أنها رسالة لا استغلال، ومن الواجب أن لا يترك الباب مفتوحاً أمام المغامرين والمتجرين يتسرَّبون منه الى الميدان السياسي، ثم تكلم على الأحزاب وعالج أوجه الفساد في النظام الحزبي فانتهى منه الى القول بأن الأحزاب السياسية ليست خيراً محضاً ولا هي شرٌّ محض، وإنه لا سبيل إلى تقليل شرور تلك الأحزاب إلا بتغليب الحزبية المعتدلة على الحزبية الصارخة وإيثار المصلحة العليا للدولة على مصالح القادة وتحد الزعماء وهو لا يرى خطراً في تعدد الأحزاب لأن في ذلك قيام

رقابة من حزب على آخر وان رقابة الرأي العام كفيلة بدفع الصالح منها للبقاء . على أنه يرى — وهو يتناول موضوع الانابة السياسية ووسيلة القضاء عليها — أن يفرض الذين يشعرون من أنفسهم القدرة على إدارة الشؤون أنفسهم في الصورة التي تمكنهم منها وسائلهم . ولكن ألا يرى معنا الأستاذ المؤلف ان هذا قد يكون وسيلة من وسائل قيام حكم الطغيان

ومن فصول الكتاب الممتعة الفصل الذي عقد الكلام فيه على الخطابة ، فهي مفتوحة من الدروس في هذا الفن يجب على كل سياسي أو غير سياسي أن يطلع عليها رأى بأخذ بها ، فليست مهمة الكلام بالأمر الهين . وهو ينتهي منه الى هدفه فيوضح للخطيب السياسي ما يجب عليه .

ومن الفصول القيمة الفصل الذي تناول فيه موضوع الحرب في البرلمان وما قارنه من الفصول فهي نقد للحياة البرلمانية وتوجيه الى الأوضاع الصحيحة والأساليب القويمة لأنها خلاصة تجربة ودرس .

وقد عقد فصلاً لبيان من تقع عليه مسئولية ركود الحركة الاصلاحية ، أدلى للأمة تقع أم على الزعماء ؟ ويرى أنه يمكن معالجة ذلك ، بعد التربية الوطنية ، بالبرامج الاقتصادية الصادقة التي شعارها ان الفرد للمجموع والمجموع للفرد .

وقد ختم الكتاب ببحث وافٍ في موضوع هو من الموضوعات التي شغلت الرأي العام المصري زمناً وتشغله الآن مما يمتُّ الى الحياة السياسية ويتصل بها وبحياة وجاهد ذلك موضوع الاغتيال السياسي ، وقد وفّاه المؤلف البحث حقه من الدرس .

* * *

والكتاب في حد ذاته كتاب جدير بأن يكون موضوع عناية ودرس وأن يقرأه كل مغامر في هذه الحياة السياسية ليتزوّد لكفاحه بعُدد من التجارب ، ويتجنب في حياته أخطاء الماضي ويستلهم بصائر الحنكة والتجربة .

حسن كامل الصيرفي

١ — مجلة علم النفس

للدكتورين يوسف مراد ومصطفى زيور

١٦٠ صفحة من حجم المقتطف — تصدر عن دار المعارف بمصر

روّاد علم النفس في مصر معدودون وجميعهم والحمد لله يشهدون اليوم كيف يدرج هذا العلم الى مراتب الرقي وكيف يتسنم بين العلوم مرتبة رفيعة حتى لقد كان فرع من فروعه مدار بحث مستفيض في قضية من أكبر القضايا التي عرفها التاريخ المصري وهي قضية اغتيال أمين عثمان باشا .

ومن هؤلاء الروّاد الأساتذة الدكتور أمير بقطر وسلامه موسى والدكتور عبد العزيز القوصي والدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زيور والدكتور محمد عثمان نجاتي والدكتور صبري جرجس والاستاذ محمد فتحي بك . وقد أسدوا جميعاً يداً بيضاء لنهضة علم النفس في بلاد الشرق ومهدوا أمامه السبل واستحدثوا له المصطلحات العلمية العربية وأساليب التعبير الميسرة ، وجعلوا آفاقه تنم عن إمكانيات لا يستطاع الآن معرفة مداها

وقد توفر الأستاذان الجليلان الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زيور على ثلاث من السنين على اصدار مجلة رباعية تحمل اسم « مجلة علم النفس » ، لم تكد تولد حتى عرفت مستقرها بين المجلات العلمية ذات الصدارة ، لأنها أخلصت للعلم وأسلمت له القياد وهمت جادة لتكون في منسوب يعلو على العامة ، فغدت وهي حديثة العهد بالظهور مدرسة ومعرضاً يؤمها القارىء فيجني ثماراً علمية شهية ويتوسل بها الكاتب ليجعل منها مرتاداً لآرائه وبحوثه تُعرض على مائدة البحث الرحيبة .

ولقد أصدرت « مجلة علم النفس » بضعة أعداد ممتازة في موضوعات أحسنت اختيارها فكان كلُّ عددٍ منها سفراً جامعاً وكتاباً اشترك في تدوينه وبحث مراجعه عشرات من الباحثين ، وموجعاً لا معدى عن الاستعانة به في البحوث العلمية المتعلقة بالنفس .

علاوة على أنها أصدرت باشراف الدكتورين يوسف مراد ومصطفى زيور طائفة من الكتب النفيسة في علم النفس فضدت شوكة هذا العلم وجعلت أصوله في متناول القارىء

ووطأت لكل راغب في الاستزادة من منهل السيكولوجي أن يعتمد على نفسه في درس هذا العلم ومراجعة معتقداته .

واذا كانت « مجلة علم النفس » تستقبل اليوم عاماً رابعاً من حياتها ، فهي تستأنف منا بتهنئة سخية ، وتقتضي بنا أن نهيب في التنويه بفضلها وما آثرها ، وتحتم على رجال العلم أن يصاغوا الدكتورين مراد وزيور مثنين مطربين وأن يرجوا لها ولأعوانهما اطراد الارتقاء في كل جهد علمي يوجهون إليه طاقتهم وقواهم .

٢ — مشكلات الشرق الأوسط

كتاب دوري يصدر بإشراف الدكتور راشد البراوي

نكتة النهضة المصرية — ١٦٠ صفحة متوسطة الحجم .

ألفت في كلية التجارة في جامعة فؤاد الأول جمعية همّها العناية بشؤون الشرق الأوسط ودراسة مشكلاته وشؤونه ، والتخصص في كل منحًى من مناحي البحث تكون له صلة ما بالشرق والحياة فيه .

وقد اختير لرياسة هذه الجمعية الأستاذ الدكتور راشد البراوي الأستاذ في الكلية وانتخب الأستاذ حسين كامل سليم بك عميد الكلية رئيس شرف لها . أمّا أعضاؤها فجميعهم طلاب في هذا المعهد تحرّي في اختيارهم ودقق في انتخابهم حتى يكونوا أهلاً للاشتراك اشتراكاً بنائيًا في أعمال هذه الجمعية .

وكان أوّل ما اتجه إليه نشاط « جمعية شؤون الشرق الأوسط » أن فكرت في إصدار كتاب دوري بعنوان « مشكلات الشرق الأوسط » يسهم في تحريره أساتذة الكلية وطلابها ويضمّ بين دفتيه بحوثاً مدروسة متقصاة في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهذه الرقعة من العالم .

ويبدو لي أن هذا الكتاب اتخذ من « مجلة الشرق الأوسط » [1] التي يصدرها في وشنطن معهد الشرق الأوسط نموذجاً ومثالاً فسار على دربها وقلّد منهاجها ، واستهدف

(1) The Middle East Journal.

أغراضها ومقاصدها . فالجزء الأول منه خاص بالبحوث العلمية للسهبة — والثاني مترجم عن المجلات والكتب الغربية — والجزء الثالث خاص بتسجيل الوثائق الرسمية والمستندات والبيانات ذات الطابع الرسمي التي تصدر عن رجال مسؤولين في الشرق الأوسط . ويلي ذلك باب للكتب تعرج فيه أسماء جميع المؤلفات التي صدرت أخيراً لمعالجة شؤون الشرق الأوسط .

ولا ريب في أن السير في إصدار هذا الكتاب مشاركة بين الأساتذة والطلاب بإشراف الدكتور راشد البراوي ، مما ينبغي اشتداده والثناء عليه لأن في هذا التقليد — الذي نرجو أن يكون تقليداً عامًّا في جميع الكليات والمعاهد العليا — تنشيطاً للطلاب وحفزاً لهممهم وإضراماً لنار حبّ العلم عندهم وإرشاداً لهم على تقديم المنهج العلمي على كل منهج سواه .

والمأمول أن ينتظم صدور الأجزاء التالية من كتاب « مشكلات الشرق الأوسط » حتى لا يقتصر نشاط أعضاء هذه الجمعية على الشؤون الادارية أو التنظيمية المجردة .

٣ — نيران وثلوج

للأستاذ سهيل ادريس

دار العلم للملايين في بيروت — ٩٦ صفحة من الحجم المتوسط

الأستاذ سهيل ادريس أديب لبناني عرف بتضلعه في النقد وفي كتابة القصة القصيرة وقد تضلع من هذين الفنين ، ولكن زمام الاجادة يفلت منه أحياناً

وقد تلوت مجموعة أقاصيصه الأخيرة « نيران وثلوج » وهي تضم عشراً من الأقاصيص فلم ترقني منها سوى خمس هي « نيران وثلوج » و « قبلة اليد » و « أقوى من العاصفة » و « التضحية المشتركة » و « عطر ودم » . أما الخمس الباقيات فستولها التي في تقديري أقل من المستوى الذي عوّدنا سهيل ادريس على انتظاره منه .

والأستاذ ادريس صادق في تصوير نبضات الحياة ، لا يعمد الى الاستعانة بالنفي من العوامل (كالأشباح والرؤى مثلاً) مؤثراً أن يستقي من الواقع مادته ومن المألوف خطوط نسيج أقاصيصه . وقد نستثني من هذا بقعة الحمر التي استحالت دماً يوم سرعت بطة أقصوصة « عطر ودم » فهذه معجزة ولكن الخيال القصصي يجيزها ويجعلها سائغة للعقل مقبولة إذا وزنت بميزان المنطق .

واقد حاولت أن أتلمس في أقاصيص هذه المجموعة معالم تدلّ على أن كاتبها لبناني، أو على أن الجوّ الذي يكتنفها هو جوّ لبناني ، فلم أستطع ، باستثناء الأقصوصة الأولى التي كان بطلاها يتوزعان على الجليد في جبال لبنان الشمّ . فالأقاصيص جميعاً كان لكاتب مصري أو سوري أو أردني أن يكتب مثلها دون أن يفطن القارىء إلى أنها تحمل سمة بلد عربي بعينه ولست أقول هذا في مجال نقد أو التماس عيب ، وإنما أقوله لأبيّن أن الأستاذ إدريس ، يوم كتب أقاصيصه لم يلزم نفسه بالاقتصار على بيئة معينة ، أو على بلاد دون غيرها ، وإنما جعل أقاصيصه ذات هدف إنساني عام وذات قومية لا تعرف حدوداً بحيث يستطيع كل أديب أن ينتسب إنتاجه إليه .

ولئن تفاوتت مراتب أقاصيص الأستاذ سهيل ادريس في هذه المجموعة ، غير إنها جميعاً تستحق القراءة ، وسيخرج القارىء من كل منها بنوع من الرضا يترجح بين إفراط فيه وإقلال منه . وتبقى الملاحظة على أن الأدباء المصريين ينبغي أن يوجهوا عناية مستمرة مطردة بأدب لبنان بوجه خاص وآداب الأقطار العربية الشقيقة الأخرى بوجه عام، لأن ثقافة المرء لم تعد تعتبر كاملة إلاّ إذا عززت بهذا العنصر الضروري الحتمي .

٤ — لعب العرب

للمرحوم احمد تيمور باشا

مطبعة دار التأليف — ١١٨ صفحة من القطع الصغير

لأسرة تيمور مآثر أدبية مستقلّ على الدوام مذكورة لها فقد نفقت التيمور والأدب نفقاً قد لا يعبر أسرة أخرى أن تجاريها في مدى سعته وشموله .

وتعد هذه الأسرة من المغفور له العلامة المحقق أحمد تيمور باشا الذي خط بنانه قبل وفاته كثيراً من المؤلفات وكان يهمّ بطبعها لولا أن وافاه القدر فحبس نتاجه عن التداول العام

وقد أنشئت لجنة لنشر المؤلفات التيمورية برياسة أستاذنا الكبير الشيخ احمد خليل فقامت بذلك وأحدثت على طابعها تبعة نشر مخطوطات تيمور باشا وتوزيعها مبتدئة بكتاب « ضبط الاعلام » ثم بكتاب « لعب العرب » وكتاب « الأسرة التيمورية » وأشرفت على اخراجها في كتاب يسيح لها أن تكون قُسْنبة ثمينة .

وكتاب « لعب العرب » قاموس يضم أسماء جميع أنواع اللعب التي عرفها العرب مع شروح وافية تكثر منها . فهو بذلك كتاب فريد اقتضى اعداده جهداً كبيراً ، وعلماً جمّ

مواده على تيمور باشا أن يمعن في القراءة ويوغل في البحث حتى جمع فرائده وبوّبها ورتّبها ونسّقها.

فلجنة نشر المؤلفات التيمورية مشرفة على بعض تراث المرحوم تيمور باشا مشكورة على تحقيق ما سعى الفقيد إلى تحقيقه قبل منيته.

ربيع فلسطين

كتب صدرت حديثاً عن دار المعارف بمصر

(١) البندقية: للمؤرخ الكبير شارل ديل

ترجم هذا الكتاب لمنشورات جمعية الدراسات التاريخية الأستاذان أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر — والكتاب ليس بتاريخ وليس بقصة وليس بأدب وليس بفن وإنما هو جماع ذلك كله وصفحاته ٣٥٨ صفحة من القطع الكبير

(٢) صوت العالم: للاستاذ الكبير ميخائيل نعيمة

مجموعة بحوث نفيسة لأديب لبنان الكبير يدوي فيها صوت الانسانية تتجاذبها المادة والروح. وصفحاته ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط

(٣) ديودور الصقلي في مصر

نقله من اليونانية الأستاذ وهيب كامل ويعد هذا الكتاب أدق رواية أدبية ألفت منذ ٢٠٠٠ سنة عن مصر وآثارها وتقاليدها. وصفحاته ١٨٤ صفحة من القطع المتوسط

(٤) نوشيه: بقلم الأستاذ احمد الصاوي محمد

قصة السياسي الأعظم والبوليسي الأعظم الذي قال عنه بلزاك «إن سلطانه كان على الناس أعظم من سلطان نابليون نفسه» صفحاته ٣١٦ صفحة من القطع المتوسط

(٥) من الأدب المقارن: للأستاذ نجيب العقيقي.

دراسة رصينة تقوم على دعامتين: تشتمل الأولى منابع الأدب على أساس علم النفس في الشعور والخيال والمثال والخيال والالهام والكلام وتشتمل الثانية على مقارنة الغزل العربي والوصف والمدح ومذاهب القول بما هو من نوعها في أدب الترجمة. وصفحاته ١٨٤ صفحة من القطع الكبير.

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الثالث عشر بعد المئة

٨٩ هارون — لحيته وعصاه : اسماعيل مظهر

٩٤ النظرية الالكترونية الرائجة : حسن محمد السكري

٩٧ نظرات في النفس والحياة — تكملة نظرات هاوسيل بروست : ع . ش .

١٠٦ الارشاد الاجتماعي وعلى أي أساس يجب أن يقوم : جمال الدين حمدي

١١٣ البعث (قصة) : للكاتب الفرنسي بول بروجيه : ترجمة الآنسة نعمت حسني

١٢٠ وفاء (قصيدة) : محمد مفيد الشوباشي

١٢١ معجزات الرائد اللاسلكي : عوض جندي

١٢٦ معبّدة ميمفة — المحامية الاولى في الشرق : كريمة هاشم

١٢٨ النازح (قصيدة) : عدنان مردم بك

١٢٩ جان دي لا بريير وكتابه « الاخلاق » : جورج نيقولاوس

١٣٨ الموت حلقة تطور : رشيد السعد

١٤٠ مرقسطة : محمد رجب البيلي

١٤٥ عالم القلب (قصيدة) : نقولا الحداد

١٤٧ الاداء في الفن : سبعي شنيق

١٥٣ مكتبة المقتطف « ألمع ساعات الحرج . تاريخ الحركة القومية . كتاب الكندي الى المعتصم بالله . نظم الحكم في عصر الفاطميين . السيد البدوي . ألحان الحان . الكتاب السنوي لجمعية هواة الحواجن . المسند . الحياة السياسية : حسن كامل الصيرفي . نيران وتفرج . مجلة علم النفس . مشكلات الشرق الاوسط لعب العرب : وديع فلسطين . البندقية . صوت العالم . ديودور الصقلي . فوشيه . من الادب المقارن .

---

١ — لحق المقتطف

١ — ٤٨ عالم الذرة او الطاقة الذرية : بقلم نقولا الحداد

عالم الذرة
أو
الطاقة الذرية

ATOMIC ENERGY

بقلم

نقولا الحداد

طبع بمطبعة التقدم والمقطم بمصر

١٩١٨

استهلال

عالم ما بعد القنبلة

بعد ثانية أو بضع ثوانٍ من سقوط القنبلة الذرية على هيروشيما كان الجنس البشري كله مشدوهاً جزعاً من هذا الحادث الهائل المفاجيء — أجل مفاجيء — من ألوف الطائرات ترمي ألوف الأطنان من المتفجرات فتدك أحياء المدن حيًّا حيًّا إلى طيارة واحدة ترمي قنبلة واحدة تزن رطلاً واحداً ، فتدك مدينة واحدة عظيمة في لحظة واحدة دكًّا هائلاً — خبر لا يكاد يُصدَّق . ولكن العالم كله صدَّقه ، لأن هوله لمع في جميع البلدان وأقام البرهان وحتَّم الإيمان وضعضع البهتان . وللرء يجزع من خوارق الحدثان التي تمتلئ في مخيلته قصص الجان .

يقيناً انتقل العالم من عناء مناوشة المتفجرات فوقع تحت سلطان القدرة الحاسم ، بكلمة واحدة من لسان الأورانيوم خرَّت اليابان على ركبتيها ضارعة مستغيثة تلتمس الرحمة والرفق لو وُفِّق مخترعو قنبلة الذرة منذ شرعوا في محاولة صنعها خرَّت ألمانيا ساجدة منذ سنة ١٩٤٠ وحُقِنت دماء كثيرة .

أصبح البشر الآن خائفين على مدنيتهم أن تبيد بتاتاً ، وعلى جنسهم أن ينقرض كما انقرض قبله الديناصور وحيوانات أخرى

صار الناس يحسبون حساب المستقبل الجديد — نعم سيكون المستقبل كله جديداً . وسيصبح حاضرنا كأنه ماضٍ ، من قبل التاريخ ، كما كان العصر الحجري بالنسبة الى عصر ما قبل التاريخ .

عصر مجد الكيمياء انقضى ، وجاء عصر سؤدَّد الذرة الكهربي ، وأصبح اكتشاف الكهربائية درجة الصعود إلى عالم الذرة ، كما صار عصر البخار كالحجر لدى عصر الطيار .

القنبلة الذرية لم تفتح فصلاً جديداً في كتاب العلم ، بل فتحت دائرة معارف جديدة ،

وفتحت فصلاً جديداً في الثقافة ، وسيضاف الى مناهج الدراسة في الجامعة منهاج جديد للتخصص في « علم الذرة » .

في عام أو بضعة أعوام سيرى طلبة الطبيعة والكيمياء لديهم كتاباً مطولاً في علوم الذرة — بناؤها وتركيبها وتحليلها ووظائف أعضائها وقواها ومفاعيلها إلى غير ذلك . ولا بدَّ من دراستها ؛ لأنها ستتسع السبيل الوحيد لفهم الاتقة الكيميائية والتيار الكهربائي ولتبسيط الكيمياء والكهرباء . وسيلقب الناجح في علم الذرة بكلوريوس الذرة أو أستاذ الذرة أو دكتور الذرة ، وأخيراً فيلسوف الذرة .

مسكين طالب العلم في العصر الجديد ، سيمتد عمر دراسته عاماً أو عامين أو أكثر لدراسة علم الذرة ... لا تجزعنَّ يا بنيَّ ، لأن الحقائق متى وضحت سهلت الدراسة .

لا يصح أن نسمي هذا العصر الجديد عصر الأورانيوم ، لأن تحطيم الذرة لاستخراج الطاقة منها لن يقتصر على الأورانيوم وحده بل سيتناول العناصر الأخرى الواحد بعد الآخر . اليوم تحطم الأورانيوم وبعده الرصاص ، ثم الحديد ، ثم الكربون ، وربما تحطم الهيدروجين أخيراً .

ستتحطم ذرات القلم الذي في يدي ، وذرات الورق الذي بين يديك ، وذرات الكرسي الذي تقعد عليه . ستكون كل الذرة في الكون قابلة التحطيم ، كما أن ذرات عناصر الشمس متحطمة تلقائياً ومنتشرة حطامها في الفضاء فوتونات أو شُرَيْشَات . ولولا تحطم ذرات الشمس المتناثرة في الفضاء لما رأينا نوراً ولا دفئنا بحرارة . لسوف تذوب الشمس تحطم ذرات في الفضاء ، كما يذوب الشمع أمام النار . وكذلك سيكون مصير جميع الأجرام أن تتناثر كلها فوتونات في الفضاء اللامتناهي هي من الإثير وإلى الأثير تعود . وربما تجدَّد تكوُّن الكون بعدئذٍ في دورة أخرى ، والله أعلم .

سيصبح تحويل معدن إلى معدن أسهل من تحويل اللبن إلى كريشوك ، والقطران إلى روائح وألوان . ثم تكون القوة أطوع لبد الإنسان من الكتاب الأمين أو الخادم الودود . قد يتمكن الانسان أن يطير حول الكرة الأرضية تحت ظل القمر ، ويبقى تحت ظل القمر حتى يجد نفسه قد عاد إلى مطاره ولا يحترق معه من القوة إلا قدر الحمصة في علبة سجائر .

وكذلك يستطيع بزوره أن يمخر البحار الخمسة بقوة هذه الحمة ، ويطوف جميع بقاع الأرض في سياراته بقوة هذه الحمة .

وسيرى حمات الأورانيوم أو البلوتونيوم أو الراديوم أو غيرها تدير معامل الصناعات على اختلاف أنواعها . ثم سيرى الانسان نفسه سيد الطبيعة بالفعل — يهيج البحار ويسكنها ، ويجري الأنهار ويحبسها ، ويستنزل الأمطار ويكفها — يتصرف بالطبيعة كأنه

ولكن يا أسفاه سيبقى هناك شيء لا يستطيعه الإنسان . يسيطر على الأورانيوم ويتسلط على المعادن ويعتقل القوة العقلية ، ولكن هناك شيئاً لا يستطيعه . لا يستطيع أن يملك عنان الطبع البشري ! يستطيع أن يقهر قوات الطبيعة ، ولكنه لا يستطيع أن يقهر شهوته . يستطيع أن يكبح جماح الحر والبرد والريح والبحر والعاصفة ، ولكنه لا يستطيع أن يكبح جماح رذيلته وشروره .

يكون سيد المادة ، ولكن شهوته تبقى سيدته !

يتسلح على عوامل الطبيعة ، ولكن رذائله تتسلح عليه !

يركب متن الطاقة الذرية ، ولكن شيطان أهوائه يتعبه !

يحطم الذرة ، وأخيراً الذرة تحطمه !

أصبح الإنسان الحيواني عند مفترق طريقين : إما أن يعقل ويعتقل القوة الذرية فيستخدمها لتسعده ، أو أنه ينتحر بها ...

المدنية الآن في نشوة من خمرة انتصارها على الطبيعة ، فإن استطاعت أن تصحو من هذه النشوة قبل أن تهوي إلى هاوية الفناء ، وأن تجعل النظم الاجتماعية والسياسية علماً بقواعد وأصول تسير عليها ، كما جعلت السنن الطبيعية علوماً لها ، نشأت مدنية جديدة في فردوس من السعادة لا يفرغ منها .

إليك هذا الكتاب هو أول كتاب[1] في علم الذرة باللغة العربية فاقرأه واغتفر أخطاءه وتكرم بالإرشاد إليها .

نفولد فرار

---

(١) لقد صدر قبله كتاب أو كتابان ، ولكنه كتب قبل كل كتاب ولم يسعفه الحظ أن يطبع في حينه

الفصل الاول

ما هي الذرّة

١ — العناصر الكيميّة

الوَحدة هي الجسم الذي يتألف من أفراده المتماثلة جسم أكبر منها . الانسان وَحدةٌ في المجتمع . أي أن المجتمع يتألف من وحدات الإنسان . وجسم الإنسان ، وكل حيّ يتألف من وحدات هي الخليات الحيوية Cells . والخلية وكل مادّةٍ من مواد الأرض (والنجوم أيضاً) تؤلف من وحدات طبيعية تسمى جزيئات Molecules كاللحم والعظم والخشب والشعر والتراب والحجر والهواء والماء . والجزيء مؤلف من وحدات كيماوية عنصرية تسمى ذرّات

جزيء البترول أو السكر أو النشا مؤلف من الهيدروجين والأوكسجين والكربون. وجزيء اللحم مؤلف من هذه ومعها النتروجين . وجزيء الحجر مؤلف من الثلاثة الأول ومعها الكلس وغيره . وهكذا ألوف جزيئات المادة مؤلفة من وحدات تسمّى ذرّات .

آخر ما توصل إليه علم الكيمياء إن الذرات التي تتألف منها جميع المواد الأرضية ٩٢ نوعاً وكل نوع يسمّى عنصراً . وحاصل ما تقدّم أن الذرّة في عرف الكيميين هي الوحدة المادية الأولى . وكانت الى آخر القرن الماضي تسمى « الجوهر الفرد » الذي لا يتجزأ Atom وهذه كلمة يونانية معناها « لا ينقسم »

ولكن في أوائل هذا القرن ظهر للعلماء الكهربائيين أن الذرّة ليست الجوهر الفرد الذي لا ينقسم لأنها مركبة من جُسَيمات أو ذريرات ، وأنها تتجزأ إليها كما سيأتي بيانه

لكل عنصر من العناصر ذرّته الخاصة به . ووظيفة الكيمياء لا تتجاوز عالم الذرّات

وتختلف ذرّات العناصر بعضها عن بعض بخاصتين أساسيتين : أولاً وزنها ، وأخفها ذرة عنصر الهيدروجين، وقد جعل وزنها مقياساً لأوزان جميع العناصر . فوزن ذرّة الهيليوم مثلا أربعة أضعاف وزن ذرّة الهيدروجين والكربون ٣٢ والنضة ١٠٨ والذهب ١٩٧ والأورانيوم ٢٣٨ وهو أثقلها جميعاً . وثانياً تختلف بعضها عن بعض بالفتها الكيميية . وهذه الإلفة هي الرباط الذي يربط ذرّة بذرة أو بذرات كما يعلم العالم الكيماوي .

ولكن ما هي الألفة الكيماوية ؟ هي إسم لمسمّى كان مجهولاً . ربما علم في ثنايا بحثنا في هذا الكتاب.

إن جميع مواد الكرة الأرضية مؤلفة من ٩٢ عنصراً ، منها إثنان لا يزالان مجهولين ولكن خواصهما معروفة . فاذا اهتدي إليهما وجدا مطابقين لها، ويحتمل أن يكتشف العلماء عناصر أخرى . والراجح أن جميع هذه العناصر أو بعضها موجودة في كثير من الأجرام السماوية . وقد يوجد في بعض الأجرام عناصر لا وجود لها في أرضنا أو لم يكتشف في أرضنا . والعلماء اكتشفوا الهيليوم في الشمس قبل أن يكتشفوه في أرضنا

وقد لوحظ أن بين هذه العناصر الـ ٩٢ ثلاث جماعات مختصة بظاهرات طبيعية مختلفة . الجماعة الأولى جماعة المواد الحيوية . وهي الهيدروجين والأوكسيجين والكربون والنيتروجين (وهناك بعض أملاح ثانوية في تركيب الخلايا الحيوية) فأجسام جميع الأحياء من ميكروبات ونباتات وحيوانات مؤلفة منها . والجزيئات المؤلفة أساسيًا منها تشتمل على عدد كبير من الذرّات . قد يبلغ الجزيء الواحد ألفي ذرّة . في حين أن جزيئات العناصر الأخرى لا تتجاوز بضع عشرة ذرّة . وأقل جزيء يشتمل على ذرّتين مختلفتين أو متماثلتين كحامض الهيدروكلوريك من هيدروجين وكلور

الجماعة الثانية : هي الجماعة التي لها خاصية الجذب والانجذاب المغنطيسي . وهي الحديد والكوبلت والنيكل .

الجماعة الثالثة : هي العناصر ذات النشاط الاشعاعي Radio-activity وأهمها الراديوم ثم الأورانيوم والاكتينوم والثوريوم . وهي أهم العناصر لنا في هذا الكتاب.

وكل جماعة متجاورة العناصر في جدول العناصر ما عدا الجماعة الأولى . فالعنصر الأول منها الهيدروجين بعيد عن اخوته الثلاثة قليلاً .

٢ — تفريغ الذرة

منذ أواخر القرن الماضي ظهر أن الذرة ليست الجوهر الفرد كما كان يعتقد الكيماويون لأن الاختبارات العلمية بإطلاق التيار الكهربائي في وسط من الغاز اللطيف الرقيق ودراسة أشعة الطرف السالب من التيار المسمى « كاثود » أظهرت أن هناك جسيمات أو ذريرات أصغر أو أقل وزناً نحو ١٨٤٠ مرة من وزن ذرة الهيدروجين نفسها وأنها ذات شحنة كهربائية سلبية ، فسماها جونستن ستوني مكتشفها « الكترونا » ونحن نترجمها كهيربا . وبعد التحقيق رأى ترمسن أن هذا الالكترون موجود في كل ذرة من ذرات العناصر الكيميية . والذرات تختلف باختلاف عدد الكتروناتها (كهيرباتها) . والقوة التي تحفظ هذه الالكترونات في الذرة بقيت تحت الحدس والتخمين .

وبحسب هذه النظرية الالكترونية الحديثة كل ذرة تؤلف من نواة صغيرة ثقيلة نسبيًا وقطرها نحو جزء من ١٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ من السنتيمتر حجماً يحيط بها فراغ قطره نحو جزء من ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ جزء من السنتيمتر [1] تدور فيه الكترونات حول النواة كما تدور الكواكب حول الشمس . والنواة معبأة بعدد صحيح من الشحنات الكهربائية الايجابية وقيمة كل منها ٤٨٠٣ ÷ ١٠ ÷ ١٠^١٠ من الكولب والكولب هو الوحدة الكهربائية (اقرأ عنه في أحد كتب الفيزيقيات أو الكهرباء) وكل الكترون يحمل شحنة كهربائية سلبية (أي مكهرب) بهذه القيمة أيضاً . وعدد الالكترونات الدائرة حول النواة يساوي عدد الشحنات الايجابية التي في النواة . فلذلك تعتبر الذرة كلها متعادلة الشحنة Neutral

وفي سنة ١٩١١ ظهر للورد رذرفورد من تجاربه أن هذه الجسيمات الصغيرة تسير بسرعة فائقة في أية مادة حين تقذف من العنصر ذي النشاط الاشعاعي كالراديوم مثلاً . فأدى هذا الاكتشاف الى أن الكهربائية الايجابية مركزة في نواة متوسطة في الذرة . وهي ذات حجم صغير جداً بالنسبة الى الحيز الذي تشغله الذرة نفسها . وليس ذلك فقط بل أن معظم

(١) انظر نبذة ٣ من فصل ٣

قصة

البحث

الكاتب الفرنسي « بول بورجيه »

ترجمة الآنسة : لعبت حسني

كانت البرابيت التي فريس « بلدية حارة » وهي ترتقي منحدر الهضبة على مهل .. تلك الهضبة المدرجة التي تشرف جزءاً من حديقة دارها .. وجلست البرابيت على مقعد حجري فوق ذلك المنحدر ، التي تكسوه الحضرة الباسقة البديعة . هناك كانت تجلس في أيام سعيدة ، فدخلت وتصرفت .. حيث كانت تسرح أنظارها قريرة فيما حولها من البقاع المترامية من بحر وجبال . في ذلك الأفق الجميل الذي استحوذ من بين جهات « هير » تلك التسمية التي أطلقت عليه جزافاً .. « كرستبيل » كما أحبوت الحديقة ، غابة صغيرة .. نمت فيها أشجار الصنوبر ، وتطاولت فروعها حتى وصل بعضها الى أعلى الهضبة ، حيث تجلس البرابيت . كانت الأشجار تلتصق بالأخضرار ، وهي تضرب تحت القمة الآتية من البحر ، الذي يتنسم أيضاً في زرقة جميلة أخاذة . وبدت الجزر المتجاورة ، بصخورها وبراريها العارية ، وهي كالخط عند الأفق . وكانت عن شمال البرابيت ، مدينة « دور » وهي تنشر قرونها الثمانية .. وقد نضدت عند أسفلها ، مدينة هير بمنازلها البيض الضاحكة . وأضاءت الشمس أولاخر مارس الثمانية .. فعبرت البحر والجزر والغابة والشعاب . كما عبرت تلك الدور الجميلة ، ذات اللون الوردي البديع ، التي تسكنها البرابيت . وكما عبرت حديقتها . التي كانت تضوع بشعيرات النيسوزا المزدهرة الجميلة ، وكذا أزهار السوسن الأزرق ، والقرنفل الأبيض والأحمر التي تزين حافات الرقع الزمردية المنبسطة عن أرض الحديقة في أشكال ورسوم جميلة فتانة ، وهي تضم أشجار الورد ، وشقائق النعمان العريضة . ولا ننسى ذلك الشلال المتدفق من الحديقة .. أو غابة الصنوبر الصغيرة ، وقد كثر فيها [illegible] ، وتعبق بعبير متناقيده الزهر الطيفة ، كما يداعب شجيرات الغار وشجرات الزعتر البرية [illegible] ، ذلك

النسيم الذي مزج عبير أكمام الزهر ، وأنغمة صمغ الأشجار ، وعطر الأزهار البرية ، وأكليل الجبل ، والسيستا الجميلة . وهناك أشكال غريبة من نباتات غير معروفة في ذلك الاقليم .. فالنخل بسعفه العريض ، والنيلوفر بأوراقه الملتفوفة الكبيرة ، واللوتس بأزهاره الزرق الجميلة . وبدت هذه المجموعة الأجنبية ، وكأنها في حيرة وخجل ، بين المزروعات الوطنية . وهكذا هيمن الربيع بجماله الناضر وسحره العجيب ، وشمسه الدافئة التي تغمر هذه المفاتن كلها . ثم تعالت في الجوّ رنّات الورع والقنوت .. وتلاشى في سحرها كل ذلك الجمال . إنه رنين جرس الكنيسة الصغيرة ، التي تشرف على هذه البقعة بأكملها ، وهي تحمل هذا الاسم المحبوب : « نوتردام دي كرنسو لسيون » .. إنها رنّات تخبّر أن هذا الصباح المشرق الجميل . هو يوم عيد القيامة .. أو هو عيد « البعث » الذي تتحد ألحانه مع لحن الفرح بالحياة .. فكأنما هذه الطبيعة البهيجة ، ممثلة في الشمس والبحر والأزهار .. تعلن مخورة : انتصار الحب الذي بعث الحياة وقهر الموت .

* * *

ولكن وا رحمتاه لهذه المرأة الشابة ! التي تجلس وحيدة على ذلك المقعد الحجري البعيد . إن هذا العيد الذي تحتفل به الحياة بأكملها .. ليثقل على قلبها الحزين .. وإن خمار الحزن الذي ترتديه ، وقد أظهر جمالها الأشقر اللطيف ، ليحكي عن حزن حلّ في قلبها . وكأنما نور هذا الصباح المضاحك الجميل ، يؤذي عينيها الزرقاوين الجميلتين ، فقد أصابهما الذبول من طول البكاء . وكان يخيم على جبينها الشاحب تفكير أليم ، كلما تعالت رنّات الجرس الحزينة : من شهور أربعة ، فقدت آيزابيت دي فريسن ، ولدها ـ ولدها الوحيد ـ فالجرح في قلبها لما يندمل بعد . بل إنه اليوم يقطر دماً ، وهي تنظر الى هذا الربيع الجديد ، الذي لم يشاهده « أندريه » ولدها الحبيب . إنها لم يعد في استطاعتها أن تصلّي الى الله ، بعد أن انتزع منها ولدها ! . . كانت تجلس على ذلك المنحدر الدافىء ، وهي تنظر الى ما حولها بنظرات آلية ، خالية من الاهتمام .. وقد قامت أمامها صور من الماضي : أيام سعيدة تزهو بلون الأمل الجميل !!

ولكن ما أسرع أن تبدلت السعادة شقاء ، والأمل يأساً .. وقد مات ولدها بعد أن أكمل السنة من عمره . فيا لتعوذ القدر !

ثم نظرت ليزابيث إلى البحر طويلاً .. وتذكرت زوجها « لودفيك دي فريمن » وقد أبحر عليه إلى أقاصي الشرق ، من عشرة أشهر مضت .. ألا متى يعود ! فيقول لها تلك الكلمات التي ترد إليها أملها ، وتعينها على الحياة .. ولكن فيمَ الأمل .. وماذا هي صانعة في هذه الحياة ! ... وتناهت رنات الجرس تعلن عن القداس ، الذي يمنعها من حضوره دافع قوي من نفسها ! ... لو أن مدام دي فريمن أرسلت بصرها في هذه اللحظة ، الى الطريق الذي ينتهي إلى المعبد ، لرأت عربة يجلس فيها طفلان ، يرتديان مثلها ملابس الحداد الأول في السابعة ، والثانية طفلة في الثامنة .. إنها ألبس ، وجي .. ولدا زوجها من زوجته الأولى . إنها منذ ما تزوجت لودفيك الضابط البحار — ابن عمها — كانت صادقة في اشفاقها على هذين الطفلين ! ولما كان ضميرها قد ارتضى أن تحل محل أمهما المتوفاة ، فإن الطفلين بلغا هذه السن ، وهما لا يعلمان إلاَّ إنها أمهما الحقيقية ! ولما رزقت هي بولدها أندريه ، فقد أصبح ثلاثتهم يقتسمون قلبها على السواء ... ولكن لمَ هذا الانقلاب ؟ ولمَ أصبحت تكره الطفلين ويعذبها النظر إليهما ؟ ...

لماذا ؟ ... ليس على المرأة الشابة ، إلاَّ أن تلتفت إلى تمثالها لتجد الجواب .. هناك في منخفض الوادي .. حيث المدافن ، وحيث رأت بعينيها ، التابوت الصغير الذي يضم جثمان ولدها العزيز ، وهو يهبط إلى الحفرة الرطبة ، من ذلك اليوم وقد مازج دموعها كره شديد أحسَّته للطفلين . أما اليوم — صباح عيد القيامة — فقد استبدَّ بها الحزن ، ولم يكن في استطاعتها أن تنفر للطفلين سرحهما ، ولا أنهما صغيران ، ولا إنهما يشبان ويتكبان بينما ولدها العزيز يتمدد في تربته بلا حراك . إنها عند ما تسمعهما ينادانها : « أماه » تشعر برغبة عاتية ، في أن تصرخ فيهما قائلة : « أسكتا ، إني لست أمكما ! ... » حتى لا تسمع هذه الكلمة من غير ولدها صاحب الحق فيها . يا إلهي إنهما بريئان ! ولكنهما الملاذان الطائران ! ... وكيف ؟ .. يكفي أظهار فرحهما الساذج ، وسرورهما بالحياة .. بل يكفي إنهما مائلتان .. بينما ولدها قد العدم من الوجود .

تك الله أيتها الأم المسكينة ! لقد أتت الى هذا المكان المنعزل ، وتركت جبي ، وأنت
يذهبان وحدهما الى الكنيسة ، حتى لا ترى هناك ذلك السرور الشامل . وما عطت أن جرح
قلبها يهتاج في سعادة الطبيعة وجمالها ! وما لمثل جرحها من اندمال !

ما زالت مياه البحر تلتمع في زرقة جميلة .. وما زالت الجزر بصخورها البنفسجية ،
حتى الأفق الخالي من السحب .. وما زالت الجبال كالخط المتموّج في طراوة ولين .. وما زالت
أريج الأزهار يتضوّع به النسيم الرقيق ، وأشجار الصنوبر ، وقد تخلل أغصانها نور
الشمس لطيفاً ، وكأنه غبار الذهب منتثراً فوق الأرض .. والأشجار الجنلبة من بلاد
الشمس ، وهي تضطرب بين كل حين ، كأنما تتذكر مناخاً بعيداً . أما جرس المنبه ، فقد
انقطع رنينه ، وساد السكون . ولكن قلب الأم ، ما زال صاخباً بضوضاء الأسى واليأس !
فما كان يشبهها تأنيب الضمير .. فقد كانت تنكر على الطفلين ، هذا الربيع الذي لا يستروحه
ولها أن تدريه .. إنها كانت تحس في نفسها أحياناً بالخجل ، مما أصبحت تشعر به نحوهما من
الكراهة الجنونية .. أن هذا ليتناقض مع العدالة حقاً . وهل هناك عدالة في هذه الدنيا ؟..
ولكن لا ، ان الطفلين لا يستحقان منها هذا الشعور الظالم ، وهي من استودعهما إياها ،
الأب الغائب .. ولكن ، أكانت هي تستحق أن يستلب منها ولدها الوحيد ؟ . . . ان هذه
المرأة التي كانت فيما مضى ، ورعة تقية ، وديعة حكيمة .. قد اختلج الآن في نفسها شيطان
الوحشية والقسوة .. وانتزع منها بغتة ، كلمة قالتها وسط هذا السكون والجمال الخالد ..
كلمة نسفت بها عالياً . ولكن لمن قالتها ؟ للطبيعة ؟ لربها ؟ للربيع ؟ ليس من يدري ! حيث
قالت بصوت واضح غير مضطرب : « آه لو أن واحداً منهما فقط ، يموت كما مات ولدي ! .. »
ونهضت اليزابيت عن مقعدها الحجري في شيء من الارتباك ، ومسحت بيديها دمع عينيها ..
كما لو كانت تريد أن تبعد عن نفسها اغراء التمني المحقوت . . . ثم سلكت طريقها من الغابة ،
وهي تسرع الخطى تحت ظلال الأشجار الكثيفة الأغصان النامية . . كأنما تريد أن تهرب
من الضوء . وإن تهرب كذلك من الطريق الذي لا بد أن يمر منه ولدا زوجها ، في عودتهما
من الكنيسة . كانت تسير من المماشي غير المطروقة ، حيث الأغصان الجافة تشتبك
بثوبها . وحيث كيزان الصنوبر تتدحرج وهي تتدحرج تحت خطواتها ، وحيث لا بد لها

أن تبعد بيديها أغصان الشجيرات الشائكة . . . كانت محطّمة الفؤاد غارقة في بحر من الحزن بعيد القرار . وكانت تمشي وفي نفسها عزم يتوطد : لم تستسلم هذين المخلوقين ولم تتحمل كل هذا التعذيب . انها لصخرة سخيفة ، أو هي على الأصح ، مهزلة أليمة ، أن تقوم بدور الأمومة الكاذبة ! لِمَ لا تتخلص من الطفلين ، وترسلهما الى المدرسة الداخلية . . . وتخلو هي بذكرى ولدها الغائب من غير أن تسمع من حولها ذلك المرح وتلك الضحكات ، التي تزيد من ألمها وتبين شعورها ! . . ولكن أيكون ابعاد هذين الطفلين عن حمى الوالد ، فيه تنفيذ لرغبة الراحلة الكريمة . . التي توسلت الى أبيهما ، وهي على فراش الموت ألاّ يتخلى عنهما ، وإن يعطف عليهما عطفاً يعوّض حرمانهما منها . تلك الرغبة التي أقسمت الزابيت ، أن ترعاها وكانت صادقة في قسمها ! ؟ كان ضمير الزابيت يجيب : لا . . . ولكن تنبهت فيها طبيعة زوجة الأب . . وليس من السهل اخمادها بسرعة . لقد أرادت أن تنتقم ، وليست هي مسرفة في الانتقام ! . . إنها على قيد الحياة ، ولكنها تغار من تلك التي ماتت لأن ولديها على قيد الحياة ! وتلك هي الغيرة التي تجعل في بعض الأحيان من أحسن المخلوقات ، جلادين قساة القلوب ليس لهم ضمير . ولكن كيف تبرّر عملها هذا عند ما يعود الأب ؟ . . . لقد كانت زوجة الأب هي الشاهد الوحيد على سلوك الطفلين . فلا يصعب عليها أن تكتب الى زوجها ، أنه لم يعد في استطاعتها السكوت على شراستهما التي يتمادیان فيها ، وانه من الخير لها أن تبعث بهما الى المدرسة الداخلية التي تصلح من حالهما . . أجل سوف تفعل . وفي ذلك ما فيه من تلطيف لما يلاقيه قلبها المسكين ، من وطأة الألم !

* * *

لامرٍ ما تدينجذب الحمر الشريف ، نحو اعتزامات غير جديرة به . ثم يبدأ في تنفيذها على مضض من الضلال . ولو أنه لا يكون راضياً عن عمله هذا : كل الرضا . وقالت الزابيت وقد اعتزمت ما اعتزمته : « قبل ثمانية أيام ، أكون قد تخلصت منهما » . وهنا أحست راحة في نفسها . ثم أحست ألاّ تفكر في الطفلين ، ولا في سفالة الدور الذي تريد أن تلعبه أمام الأب . وأخذت تفكر في ولدها ، وهي تناجي شبحه الصغير . حتى لكأنه حاضر أمامها لم يمت ، وقد انعكست الشمس على خدائل شعره الذهبي الجميل . واتخذ الوهم شكل

الحقيقة ، حتى أحست الأم برغبة ملحة في أن تهيء المرتع الذي يليم فيه حنانها . فبدأت في جمع بعض الأغصان الطرية ، من نبات الخلنج الأبيض . لتزين بها حجرة ولدها . انها لم تغير شيئاً من نظامها ، وقد بقيت محرابها المقدّس ! ... كم من أمهات وكم من زوجات ، وكم من بنات ، وكم وكم ... وقد احتفظن بأشياء تختص بحبيب فقدنه ، فلا يفرطن فيها ويقدسنها تقديساً ! ... ثم تمر الأيام ، ويأتي يوم وقد اختفت من الوجود ، تلك الكائنة التي تولت هذه الشعائر زمناً ما . وتتغير الأيام ، ويأتي قوم يرون في هذه الذخائر المقدسة أمتعة قديمة يجب بيعها ! ومن ذا الذي يلوم قلباً أميناً لدفاعه هذا الدفاع الساذج ضد الفناء الذي دام حبيبه ! فيجمع هذه الأشياء الثمينة ، ولا يتركها تختفي بفناء الراحل العزيز شهور أربعة ، والأم لا تنقطع يوماً عن زيارة الحجرة الصغيرة ، التي كان ينام فيها ولدها . تزورها في الصباح ، وكذلك عند المساء . تفتح النوافذ ، وتمسح الأتربة عن الأثاث . ثم تبسط ثياب الطفل التي ما زالت تحتفظ بهيئة جسمه الصغير . انه التمهد الملتهب . انه الورع الحزين ، الذي تستمر فيه وليس من ورائه طائل . وها هي ذاهبة الى تلك الزيارة المقدسة كانت حزمة الخلنج قد تعاظمت حتى لم تعد يداها على لحاظها ، فحملتها بين ذراعيها . وكانت فرحة بهذا الحصاد النافه . ولكنه فرح يمتزج باليأس الأليم . وهبطت الأم المبتئسة ، نحو الدار ، التي تلوح من بين خلال أشجار الصنوبر وسعف النخل . وكان منظر البرايت في ثياب الحداد وبين يديها حزمة عطرة من زهر الخلنج الأبيض ، مما يثير الحزن في الفؤاد ... وشرعت تمشي نحو بيتها كما يمشي الانسان نحو مقبرة ، يصلي عندها ، ويضع عليها الأزهار ويبكي !

. . كانت الأم قد دخلت من باب الدار الخلفي ، وكانت مستغرقة في التفكير . فلم تر العربة التي أقلت ولدي زوجها الى الكنيسة لحضور القداس . . ثم عادت بهما ، وها هي بالقرب من الباب الآخر . . . واستولت عليها رجفة شديدة ، فإنها وجدت باب حجرة أندريه ، نصف مفتوح . . واذا بها تسمع صوت الطفلين ! ... ماذا يصنعان إذن في هذه الحجرة التي حرّمت دخولها على أي إنسان غيرها ؟ ... رأت نور الشمس وقد تسرّب من بين شقوق النافذة ، ومن فتحة الباب . . واضطربت الأم وضمت حزمة الخلنج ، الى

صدرها الذي تضاعفت فيه ضربات قلبها .. ووقفت تستمع الى ما يقوله الزائران ... وتأثرت تأثراً لا يمكن لها أن تعرف حقيقته .. أهو جميل ، أم هو محزن يفتت الأكباد .. فقد فهمت أن الطفلين سبقاها الى ذلك الحج العزيز ، الذي سعت هي إليه . ففي هذا الصباح المضيء ، فكر الطفلان في زميل لهوهما — أخيها الصغير — وقد انقطع عنهما من وقت طويل .. فجمعا له الأزهار من الحديقة ، كما جمعتها له هي من الغابة . وأراد الطفلان بما أوحت به اليهما الطفولة الساذجة ، أن يشركا أخاهما الغائب في الاحتفال بهذا العيد .. فأحضرا له هدية عيد القيامة .. واشتريا له من البيض الملوّن المعروض عند باب الكنيسة ! ... ووصل الى مسمعها صوت أليس وهي تقول : « فلنضع هذه الباقة هنا — أتذكر لما كنا نعيد له الفراش الملوّن الجميل ، من فوق الأزهار ؟ » ... ثم سمعت صوت جي وهو يقول : « أتذكرين العام الماضي ! لقد كان أندريه مسروراً بالعيد ! ... كم أريد أن أراه وأقبله ! » فقالت أليس : « هذا من المستحيل ، فقد مات .. ولكنا سوف نلقاه في السماء . » فقال جي : « بل إنه سوف يبعث . لقد بعث المسيح من الأموات .. وكذلك السيد المسيح ... أني في كل يوم ، عند الصباح وعند المساء ، أطلب من الله في صلاتي ، أن يبعث أندريه .. ولا بدّ أن أمي تطلب ذلك أيضاً من الله ... ستكون هذه احدى المعجزات الكبيرة .. وما دامت المعجزات موجودة .. فلمَ لا يمنحنا الله احداها ؟ ... » .

كان ذلك الطفل الساذج ينطق بهذه الكلمات ، وهو مؤمن بأن المعجزة لابدّ أن تتم . وقد تمت فعلاً . فبالقرب منه يتم بعث ونشور .. ذلك هو بعث العدالة والتقوى .. بعث العطف والحب ، في نفس تلك التي كانت على وشك أن تصبح بالنسبة له ولأخته ، من شر زوجات الآب ... واستولى الخوف على الطفلين ، عندما فتح الباب على مصراعيه ودخلت الأم — أمهما — وقدمت إليهما ما معها من الأزهار وهي تقول : « أعطياه هذه مع أزهاركما ... » ... ثم أخذتهما بين ذراعيها .. وضمتهما الى صدرها بولهٍ وجنون ، كما لو كانت تضم ولدها أندريه ... وبكت مسروراً وتأثراً وهي تقول في صوت خافت : « لقد وجدتكما بعد أن كدت أفقدكما ... وتلاشى الحقد والقسوة والحسد ، في هذه القبل وقالت : « سأحب الحياة من أجلكما . » ... وكما انتصر سرّ الربيع الأعظم ، وتجلّى على الطبيعة فأحياها .. فكذلك بُعث الحب وتجلّى في قلب من القلوب البشرية ... وانتصر على الكراهية وطردها منه .

لطفي حسني

وفاء

قضيت زماناً لم أطالع خلاله سنا كوكب يجلو عماء حياتي
وحاطتني الأقدار بالهم والأسى فلم يعنني ماض يشوق وآت
وزهّدني في الحسن حبٌّ يشوبه وشككني في خير ذمر كذاتي
فإن حياة المرء تصفو اذا صفت قلوب أخلاء له ولدات
وتكدر إن شابت نفوس رفاقه وضاق بسوءات لهم وترات
فلا حسن في الدنيا كحسن شمائل وحسن مودّات وحسن صلات
ودرت بعيني في الوجود فلم أجد سوى قبح أضغان وقبح ضغائن
ولكنني ما كدت أطوي جوانحي على اليأس حتى هلّ خير هداتي
أعاد لي الايمان بالطهر والهدى وردّ ربيع العيش بعد فوات
فما وقعت عيناي من صنعه ومن خلائقه إلاّ على حسنات
تجلى به كالفجر ينشر ضوءه ويبعث روح الكون بعد ممات
ولاحت تباشير الرجاء وضيئة فكانت على كفّا يديه نجاتي

* * *

تشوه حياة المرء إن ضاع عهده وتشكله في المكرمات خروق
وتجمل في عينيه إن صينَ عهده ويصّره بالمكرمات أمين
فيا مَن حباني وده المحض إنني إليك صنت عمري به لمدين
أعاد لهذا الكون جدّة حسنه فعاودني بعد القنوط يقين
يقينٌ بأن الخير والطهر والهدى شمائل لم ينضب لهنّ معين

لخير نصير الشرتوني

معجزات الرائد
اللاسلكي

وصف جهاز الرائد اللاسلكي

تطلق نبضة الرائد اللاسلكي في الجو بسرعة الضوء حيث تقطع في الثانية ١٨٦٣٢٦ ميلاً . وتستغرق في تلك الرحلة الثانية متنبهة طفيفة جداً ، هي جزء من مليون جزء من الثانية . ويتسنى تقدير هذه المتنبهة تقديراً مضبوطاً عند بلوغ النبضة اللاسلكية المشار اليها ، هدفها المنشود ، وارتدادها عنه ، وذلك بساعات كهربية غاية في الاتقان والضبط ، تستطيع تبيان الزمن ، كوحدات تعدل جزءاً من المليون من الثانية . ويمكن تقدير بعد الهدف وإن كان على عشر ياردات من الرائد اللاسلكي .

ولكن توليد هذه النبضة التي تطلق من الرادار ، يحتاج الى شحنات ضخمة جداً من الطاقة الكهربائية ، قد تبلغ مئات الآلوف من وحدات مقياس طاقة التيار الكهربائي « وطّات » ويولّد هذه الطاقة الجسيمة ، جهاز صغير جداً ، قوي ، اسمه (ميجاترون) Megatron وهو ذلك الصمام الكهربي الذي طالما كان مبعث اعتياء المهندسين ، وما برح مدعاة لتضارب آراء الميكانيكيين ، في تعذر انتاج كميات كبيرة منه .

وتنطلق تلك النبضات العظيمة الطاقة ، من الميجاترون ، سائرة في أنابيب مجوفة ، حتى تصل الى أحد موصلاته الجوية الكهربائية اللاسلكية ، وذلك على شكل موجات قليلة جداً .

ويجب أن يكون الجزء اللاقط في جهاز الرائد اللاسلكي ، حساساً جداً ، لكي يستطيع التقاط أضعف النبضات المرتدة اليه ، وان كانت طاقتها لا تزيد على بضعة أجزاء من مليون من الوط .

ويدار كل من الجزءين ، المطلق للموجة ، واللاقط في الرائد اللاسلكي ، من موصل جوي واحد لاسلكي ، ولكن في لحظتين مختلفتين . وإذا احتل [illegible] الميجاترون

اختلالاً طفيفاً جداً لا يستغرق أكثر من جزء من مليون من الثانية ، تعطل اللاقط .

وفي بعض أجهزة الرائد اللاسلكي ، تُستخدم الموجات القصيرة جداً والطويلة أيضاً مزدوجتين بعضهما ببعض بغية التعاون فيما بينهما ، إذ تلتقط هذه ما تعجز عنه تلك .

وفي وسع المدير الذي يشرف على الموصل الجوي للموجات الكهربائية اللاسلكية ، توجيه الموصل نفسه ، الى أية جهة يشاء تصويب الموجات إليها . وذلك في هنيهة لا تعدو ثلاث ثوانٍ . وبهذه الوسيلة يتمكن الخبير الفني من تصوير صورة كاملة لما يظهر في الأفق .

ومرأي أجهزة الرائد اللاسلكي ، هي من النوع الصالح للتألق « فلورالبارد » فتشرق حالما تصدمها الموجة الكهربائية الموجهة إليها ، وهي التي يلتقطها ترجيع الرادار . وعلى هذا النمط يُعبَّد مسلك الرادار ، الذي تتمكن عليه صورة الشبح ، طائرة كانت ، أو سفينة ، وذلك على هيئة بقعة تظهر بغتة في ذلك الخط ، ونعني به خريطة الرادار الدالة على مواقع المرئيات .

وفي صور الرادار تتجلى المياه قاتمة ، قاتمة اللون ، لأنها عاكس ضعيف لموجة الجهاز ، على حين تظهر الصور التي تمثل الأراضي الزراعية والأرياف ، زاهية الألوان . أما القطرات أو الأجسام التي تحوي أشياء معدنية . كالطائرات والسفن والمدن ، فتلوح للرائي ، أنصع لوناً من المرئيات بأجمعها .

وتتفاوت أحجام أجهزة الرائد اللاسلكي ، وفقاً لأنواعها . فمنها الأرضي الذي يبلغ ثقله عدة أطنان ، والجوي الذي يُركَّب في أذناب الطائرات بصفة كونه جهازاً محذراً إنّاها من الأخطار ، فتُزوَّد به المقاتلات الليلية . وهذا النوع يبلغ ثقله ١٥ رطلاً انكليزيًّا ، وبه يستدل قائد المقاتلة على دنوّ الطائرة التي تتعقبه . أما الرائد اللاسلكي ، الخاص بالملاحة الجوية فلا يزيد ثقله على ٢٩ رطلاً .

وقد ثبت نجاح أجهزة الرائد اللاسلكي ، وذلك في الحرب البرية . ومنها جهاز يفضح كلّ ما لمستتر من الدبابات الحربية ، كما يكشف عن أي جندي كان ، خفيًّا من المشاة المراصفين .

ومن أصناف الرادار ، جهاز صغير أوتوماتيكي ، ينصبه الجنود الفدائيون ، خفية في ميادين القتال ، فيرشد قادة القاذفات الى أهدافهم المنشودة .

وتستعمل حالياً شبكة من أجهزة الرائد اللاسلكي ، في محطات شتى ، للقيام بأصدق التنبؤات الخاصة بتقلبات الجو ، وذلك قبل حدوثها ، في أزمان السلم . ويستطيع الرائد اللاسلكي ، تحديد السحب الثائية ، عند تكونها ، واكتشاف الصواعق ، وان كانت على ارتفاع ٢٠٠ ميل . وهذا الى جانب الانتفاع بتلك الأجهزة ، في تعقب البالونات المتيورولوجية ، التي تطلق الى أعلى الطبقات الجوية ، قصد تحديد مجرى تيار الهواء ، كما تستعمل في المباحث البحرية لانقاذ الغرقى . وتزوّد الزوارق البحرية الخاصة بالنجاة من الغرق ، بأجهزة رادار ، تعكس عليها النبضات اللاسلكية عكساً جلياً . وبنبضات الرادار التي توجه من المحطات البرية ، يستطيع « جهاز اللورلن » Loran جعل قائد الطائرة يحدّد خطّي الطول والعرض اللذين يحلق فيهما ، تحديداً مضبوطاً في أي وقت كان .

والرادار هو قرام (الراكونات Racons) أي المنائر اللاسلكية التي ترشد الطائرات الى أوطانها ، إذ تطلق أوتوماتيكياً ، موجة لاسلكية ، حينما تصطدم بها نبضة رادار الطائرة

وفصارى القول ، إن الرادار ، قد صيّر الصمامات الكهربية ، من أعظم الصناعات الأمريكية رواجاً . وقد بلغ ما بيع منها هناك في النصف الأول من سنة ١٩٤٥ ، للقوّات البرية والبحرية وحدها ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ دولار .

وكثيرٌ من عناصر الرادار ، تشبه أمثالها في جهازي الراديو والتلفزة ، أو في الجهاز المقوّي لسمع الانسان . وكان التحسين العصري العظيم الذي تمّ في أجهزة الرادار ، سبباً لتغيير كثير من الآراء العلمية القديمة في منافع الصمامات الكهربية .

منافع الرائد اللاسلكي في الحال والاستقبال

سيكون لهذا الجهاز تأثير معتدل حسب ، في المعيشة اليومية في زمن السلم . بيد أنه سيؤثر في الحياة تأثيراً نافعاً عظيماً ولكنه غير مباشر ، إذ أنه جهاز اخترع في بدء أمره ليكون سلاحاً حربياً . ولا بدّ أن البراعة الفنية التي تجلّت لخبراء الحكومتين البريطانية والأمريكية في تحسين الصمامات الكهربية دائماً ، سوف تحدث نتائج باهرة عجيبة في حياتنا اليومية .

وعما قريب ستتمكن البواخر من استخدام هذا الجهاز ، لمنع اصطدام كل منها بالأخرى أو بجبل من جبال الجليد كما أسلفنا القول في بحثنا السابق الذي نشر بمقتطف يونيو الماضي) ولوقايتها من الانظام ، ويسوغ التوصل به أيضاً إلى إرشاد قادة السيارات ، الى الجهات التي يقصدونها ، وذلك عند ما تستحيل عليهم الرؤية .

و - تمكنت في انكلترا تجربة في هذا الموضوع ، حيث ثُبّتت جهاز مُرسِل ذو تيّار كهربي سريع التذبذب ، شديد الفولطات ، وذلك في عمود مصباح ، ثم أُطلقت منه الموجات الكهربائية شعر مذوّ ، كأنها أشعة الضوء . وركّب أيضاً في لوحة أدوات قيادة السيّارة جهاز لاقط ، صغير الحجم جدًّا ، فأتيح لذلك الجهاز ، تحذير قائد السيارة فوراً تحذيراً فوريًّا ، طالما شرعت سيارته تضلّ طريقها المقصود . وما من شك أن الرائد اللاسلكي ، سيصير عظيم النفع ، في تنظيم مسالك الطائرات . ولهذه الغاية ستقام سلسلة من محطاته على طول ممرّها الرئيسية ، حيث تقوم هاتيك المحطات باعطاء الارشادات التي تكفل وصول الطائرات الى أهدافها بدقة ، شأنها في ذلك شأن قطرات السكك الحديدية ، وعندئذٍ تصبح حوادث تقطعها من المستحيلات ، ويغدو استدلالها على طريقها عملاً أوتوماتيكيًّا . وغني عن البيان ، أن الجو سيفضّ في القريب العاجل بشتّى الطائرات ، وسيكون في وسع الأجهزة اللاسلكية ، السيطرة عليها ، في أثناء طيرانها ، في مختلف الجهات ، حيث تمنع الأجهزة كلاً منها ، عن اعتراض مجال الأخرى ، منعاً أوتوماتيكيًّا ، وتجعلها تحيد عن طريقها الخاطئ . وسيتيح الرائد اللاسلكي ، للطيارين والملاحين ، (باصرة) تستطيع رؤية عشرات من الأميال ، نحو الأمام ، وستركّب تلك الباصرة في الطائرة أو الباخرة .

وفي هذا الصدد قال الأستاذ السير لورانس براج العالم النابغ لمعهد كافنديش للبحوث العلمية وهو الذي عهد إليه في البحوث الانكليزية العلمية السرية ، في غضون الحرب العالمية الثانية .

« حينما تضع الحرب أوزارها ، وتباح إذاعة نتائج بحوثنا ، وتقبل الدول على التضافر بعضها مع بعض ، في أسلوب الترامل اللاسلكي وتحسينه ، ستجعل هذه (البواصر اللاسلكية) الملاحة البحرية ، والسياحة الجوّية ، آمنتين ، بغير أدنى شكّ »

وقال عالم انكليزي آخر من علماء اللاسلكي ، هو الدكتور . و . ل . صحيث روز R. L. Smith Rose وذلك في خطاب ألقاه في معهد المهندسين الكهربائيين .

« نحن الآن في اليوم الذي ستتمكن فيه الطائرات الناقلة للبضائع ، من عبور المحيط الاطلنطي ، بلا قيادة ، إذ يُناط تطيرها عن الأرض ، بالعمال المختصين بوسقها ثم توجيهها بالأجهزة اللاسلكية كيفما تشاء الى أقصى البلدان .

أجل إن مدى السيطرة اللاسلكية على الطائرات المحلقة في الجو ، ما زالت محدودة جدًّا وهذا يرجع الى استحالة التصرف في الطائرة ، متى بعدت عن مدى الرؤية البشرية . أما في هذه الحالة فيتمكن الخبراء ، من طريق الرائد اللاسلكي ، وبوسائل السيطرة الثانية من الهيمنة

على أية طائرة كانت ، وهي أبعد ما تكون عن أبصارهم ، هيمنة محكمة فتصير كأنها طائرة في مجال أبصارهم .

ولن تقتصر هذه السيطرة اللاسلكية على الطائرات دون سواها ، بل ستعم المنائر أيضاً وسفن المنائر التي تعمل في المحطات القصية . وربما تشمل كذلك أجهزة ري الأراضي الزراعية . وعند ما يحين الزمن لاستغلال المصادر الطبيعية للمحيط الاطلنطي ، سنرى طريقة السيطرة اللاسلكية ، شائعة الاستعمال للتغلب على الأحوال الجوية البغيضة التي تعرقل أعمالنا .

وقد يحدث الخلط بين قاعدتي السيطرة اللاسلكية ، وبين اطلاق الطاقة الكهربائية بالوسيلة اللاسلكية . ومن الموضوعات العلمية المرتقبة ، موضوع تسخير الأثير لنقل الطاقة اللاسلكية بغية تحريك المحركات أو تسخين السوائل . وهذا أمرٌ لا يمكن تحقيقه في المستقبل البعيد .

وكل ما يتاح الآن لجهاز اللاسلكي اللاقط ، التقاطه من الطاقة اللاسلكية ، وان كان بعده عن الجهاز المطلق لها ، لا يزيد على بضعة أميال ، لا يكاد يزعج ذبابة ، فهي اذن أضعف كثيراً مما يلزم لاشعال مصباح كهربائي ، أو تحريك مفاتيح أية طائرة كانت . فالسيطرة اللاسلكية ، على الأرجح ستظل حالها على هذا المنوال حقبة طويلة ، إذ تبقى في حاجة ماسة الى مصدر الطاقة اللازمة لجهاز المطلق لها ليمكنه القيام بأي عمل ميكانيكي يرغب فيه .

وفي الطائرة التي تسيطر عليها الطاقة اللاسلكية ، مثلاً لا يستغنى عن المحرك الذي يدير مراوحها ، بل يجب تزويدها بطاقة كهربائية لتحريك مفاتيحها التي تسيطر على دفتها وروافعها (دفتها الأفقية) وسهام بنزينها . والرائد اللاسلكي في زمن السلم تقع واحد مباشر يعدل ضافعه الكثيرة التي تجلت في غضون الحرب . ولا غرو فانه سيجعل الملاحة البحرية والسياحة الجوية متواصلتين ، غير معرضتين للخطر الذي ينشأ عن التهاون أو الغباء . وذلك من دون اكتراث للاحوال الجوية ليلاً أو نهاراً . فاذا ركبت باخرة ، أو أقلتك طائرة ، مزوَّدة بهذا الجهاز الطريف ، قطعت رحلتك آمناً مطمئناً اطمئناناً يفوق مرتين ما كانت عليه الحال قبل اختراعه .

ولكن الخبراء لم يتيسر لهم حتى الآن الانتفاع بالرائد اللاسلكي في النقل البري ، إذ قالوا أنه لا يجدي أبداً في السيارة أو في العربة التي تلحق بقاطرة سكة الحديد ، لأن كلاً من ذينك النوعين ، يسلك طريقاً للنقل والانتقال ، مرسوماً من قبل . أولهما على الطرق العمومية . وثانيهما على السكك الحديدية . وهذا من شأنه جعل استخدام الرادار عملاً عقيماً فيهما .

« بردف » هوغس هنري

الحامية الاولى في الشرق

سيمبة صيبعة

طُرِّزت صفحة غرّاء لكن ... ستُنشرُ ما ازدهى العرفان نشرا
عليها خطّت الأعمالُ آياً ... ومنها حلّقَ الابداعُ فكرا
نسائجِ النهى كأساً فكأساً ... وعدتِ مطبعةً حملاً وذكرا
فروحُكِ لا تزال تشعُّ نُبلاً ... وقلبُكِ زاخراً كرماً وطُهرا
ضميرُكِ لم يكن إلاّ عفيفاً ... وخلقُكِ طاهرٌ أرجاً ونشرا
وكم أحييتِ من حقٍّ مهيضٍ ... وكنتِ على ضمير البطل نكرا
كفاكِ السبقُ مفخرةً وعجداً ... وحسبُكِ رودُ أفق الصلم فجرا
ستخلُدُ بيننا ذكراكِ درساً ... ويبكيكِ الوفا نثراً وشعرا

الحامية مميّة صيبعة أو « بورشا الشرق » كما لقبتها جريدة التلغراف الأميركية . هي لبنانية الأصل من عائلة طرابلسية كريمة مصرية الموطن . بدأت دراسة الحقوق وهي في السابعة عشرة من عمرها وقد صادفت عقبات جمة كادت تثنيها عن عزمها لولا ارادتها الصلبة وحبّ

قصدت باريس للانخراط في جامعة السوربون فاجأها المدير بقوله : ألم يبلغك أن السن القانونية هي الثامنة عشرة فما فوق . فأجابت فوراً أنها للشباب، لا للشابات؛ فقبلها حالاً ولم يتقيد بقانون . تابعت الدراسة الى أن نالت شهادة الحقوق بتفوق باهر، ثم عادت الى مصر. ولما تقدمت الى نقابة المحامين لقيد اسمها بين محامي المحاكم المختلطة ابى النقيب المرافقة لئلا تكون سابقة مستحدثة لفتح باب المحاماة للمرأة . فأجابته بأن هذا ما تسعى إليه . وبعد مساعٍ أجيز لها العمل لأنه ليس في الشرع ما يحظره .

زاولت المحاماة كمهنة فنبغت في مرافعاتها وعينت يوماً من كل اسبوع للنصرة المظلومين دلالة لهم معونتها فكانوا يتوافدون إليها أفواجاً . ولم تقصر نشاطها على المحاماة بل اهتمت بقضايا الاجتماعية والدينية وساهمت عاملة بعضوية عدد كبير من الجمعيات والأندية واشتهرت بحل المعضلات

كانت تجيد اللغات الثلاث : العربية والفرنسية والانكليزية تخطب وتحاضر فيها . وقد لقيت محاضراتها البليغة القيمة نظر العالم البعيد فدعتها الولايات المتحدة وكنداً حيث استقبلتها الهيئات العلمية بضروب الحفاوة والتكريم، وتناقلت رسومها الجرائد «كنيويورك سن» و «نيويورك المساء» وغيرها ناشرة عنها الفصول الطوال ودعتها «المرأة الجديدة في الشرق القديم» واغتنمت فرصة وجودها في أميركا فتعمقت في دراسة التشريع الأميركي ومنحت لقب رئيسة شرف اتحاد النساء المحاميات في نيويورك، كما إنها عينت عضو شرف في اتحاد محامي الولايات المتحدة . وفي هذه المناسبة قلدتها الرئيسة الوسام الذهبي المرصع إعجاباً بمقدرتها

ألقت هناك نحو ٥٦ محاضرة معظمها عن الشرق وعوائده وتقاليده وبقظته وتقدمه وعرّفت المرأة وما استنام لها من وعي ورقيّ ومقدرة . وكانت المحاضرة الأولى في جامعة نيويورك بعنوان «الحقوق كهنة للمرأة في الشرق»، وفي جامعة كولومبيا «عن مركز مصر الشرعي بالنسبة للبلاد الأوربية» وأفادت من ملاحظاتها اهتمام الأميركيين والكنديين بأحوال الشرق . ومن دلائل هذا الاهتمام كثرة عدد المستمعين والاصغاء التام والاسئلة المستفيضة تعليقاً على المحاضرة. ومن هذه المحاضرات ما كان يستغرق أكثر من ساعة، وكلفت بمناسبة خاصة لحضور اجتماع في كلية عبرية في نيويورك فشرحت القضية الفلسطينية وساد الدهور بأن فلسطين لا يمكن أن تصلح وطناً قومياً لليهود .

دعيت بعدئذٍ إلى رومانيا وبلغ الإعجاب بعبقريتها مبلغاً عظيماً تناقلت أنباء الجرائد رسومها وأخبارها ونشرت محاضراتها مع التعليقات الضافية بالثناء عليها، ومنها محاضرة «رومانيا الحديثة الكبرى» لمحررها الشهير جون فلورسكو وكان وزيراً سابقاً .

فجأتها المنية في ٢٦ نيسان «ابريل» سنة ١٩٤٨ فأطفأت شعلة ذكاء ومنارة علم وخمدت بها طاقة في حقل الانسانية والوطن .

كريم عناصي

النازح

إهداة الى روح الفقيد اخي هشم

البحر خلف ستار الليل عربدةٌ كأنه بخار الراح نشوانُ
مرت بأعطافه أدواه صبوته فهبَّ ينشد والظلماء آذان
وصفَّقَ الموج من وجدٍ كمغترب لاحت له بعد طول النأي أوطان
ترى الرياح تبث الموجَ صبوتها ألحان شجو وللأمواج ألحان
والنجم في الأفق أحداقٌ ممهدةٌ خلف الغمام ولرف الليل وسنان
تهادت الفلك كالأفنان باكرها صوبٌ من الطلّ في الأصباح هتّان
مضت تشق عباب اليم تائهة كأنها في فياف البيد حيران
تطوي المباين من ليل ومن لجج على وجيٍّ وكلا الغمرين سكران
إذا انطوى علمٌ من قلة نشرت من الخفوق أعلامٌ وترسان
والفلك في قبضة الأنواء ملجمة لها من الدهر والأمواه أرسان
تنفّس الصبح فانحلت مفكّكة من جانب الأفق ظلماء أشطانُ
وانزاح عن قسمات الشرق أغطيةٌ من الظلام وأستار وأردان
تبسّم الكون إلا نازحاً دهشت في بحر الصدر للأشجان نيران
إذا تناوحت الأرواح ناح لها شجواً كشكد أصوته أحزان
يا نازحاً والنوى نارٌ مؤججةٌ هيهات يغنيك بعد الأهل سلوان
ما كان أغناك عن نار صُليت بها لو أن قلبك لم يشعفه بركان

دمشق عرفان صردم بك

جان دي لابريير

Jean de la Bruyère

وكتابه «الأخلاق»

جان دي لابريير أخلاقي فرنسي ، رسم بقلمه عواطف الانسان ، وأبدى مكنونات نفسه ، وأظهر ما تكنّه جوانحه من زفرات ، وما تنطوي عليه خلوته من سرائر ، مشهراً الفاسد منها ، مبيناً المعوجّ ، محبذاً القويم

ولما كانت الأخلاق عنوان الأمة ، اذا حسُنت تقدمت الأمة وسادت ، واذا فسدت اضمحلت الأمة وبادت ، رأينا أن نحلل نفسية هذا الكاتب الأخلاقي ، ونتقد كتابه المسمى « الأخلاق » مبينين مواضع الاجادة منه ، مبدين مواطن النقص فيه ، ناقلين مقتطفات مما حواه ، ليدرك القارىء ، ولو اجمالاً ، فوائد هذا المؤلف الذي لو أتيح له فرجع الى العربية ، متضلع من معاني اللغة ، متشبّع من بيانها ، واقف على دقائقها ، لأدّى للعالم العربي خدمة جليلة ، لا تُقوَّم بمال

حياة لابريير

ولد جان دي لابريير في باريس سنة ١٦٤٥ ، واستمر الله به سنة ١٦٩٦ دون أن يقع له في حياته حدث يُثير الاهتمام ، فقضى عمره في دعة البرنس دي كوندي الكبير ، ملقناً إياه العلوم والمعارف ، ومقوّماً اعوجاجه ، وهادياً اياه سواء السبيل ، وكان دائم التردد على البلاط الملكي الفرنسي ، بحكم وظيفته هذه ، فقد أتيح له ان يدرس النظام الاجتماعي ، الذي جعل الناس طبقات ، تسمو العليا فيها على سواها ، فترهقها بالمغارم وتسوميها الذل والهوان ، وتُحمّلها ضروب الجَور والظلم ، ورأى محاباة العلية في توزيع الهناء ، فتخص به من لا يستحقه ، وتحرم منه من أهل له ، وتبدّي له شقاء الناس ، وما

تتحمله في سبيل العيش، من كدح يضنيها، وكدٍّ يفنيها، دون أن تصل الى ما تصد به رمقها، وتدفع به عنها غائلة الجوع، فتفجرت عواطفه، وجاشت مبرته، وآل على نفسه أن يعمل على اصلاح الخلل، فترجم كتاب الأخلاق « لتيوفراست » اليوناني، وأردفه بآخر من نتاج قريحته، وثمار مشاهداته، فجاء كتابه نبراس هدى. لمن يريد أن يهتدي، الى قويم المبادىء، وحميد الخصال.

ما حمله على وضع كتابه

لقد ذهب البعض الى أن لابريير استوحى في تأليف كتابه ما خطه يراع « تيوفراست » اليوناني. لا سيما وانه صدَّره بترجمة كتاب هذا الأخير في الموضوع ذاته.

لكننا نرى أن ما حدا به الى وضع مؤلفه هي حاجات العصر الذي عاش فيه، وذوق أهله، فقد كانت الأمثال والحكم كثيرة التداول على ألسنة القوم، يتسابقون الى استظهارها ويسعون الى الاكثار منها. فشق « للاروشفوكول[1] » ان يفيلهم مشتهاهم، فألف في ذلك كتاباً، تذوقه الجميع بشغف عظيم.

وكان ما يسعونه الصور — أي تصوير الفوائد وسرد الأخلاق — كثير الشيوع وفتئذٍ، يتطلبه مقتضى العصر، وتستلزمه ثقافة الزمن، فبرز الى عالم الوجود سنة ١٦٥٩ كتاب « مقتطفات آنسة » فاستمع صيته، وذاع ذكره، وأقبل الناس عليه أيما اقبال.

ومن أبرز مظاهر الذوق في تلك الأيام، السعي الى ادراك الحقيقة الخالصة من كل شائبة، فكانت الحكم والأمثال غاية أملها، وتصوير الفوائد، ووصف الأخلاق المطلب الذي يسعون الى ادراكه، بكل ما أوتوا من ذلاقة لسان، وفصاحة بيان، وبلاغة أسلوب، لانهم كانوا يرون في الصور والحكم، جلاء للحقيقة، واظهاراً لماهيتها فتبدو فيهما كما هي

(١) هو فرانسوا دوق دي لاروشفوكول من أعرق الاسر الفرنسية لعب دوراً هاماً في حرب الفروند وأصيب في احدى الوقائع بمتاريس فاري أفقده البصر لروح من الزمن. وقد قضى آخر أيامه في البلاط الملكي. وبحبة السيدات الشهيرات في عصره. ووضع كتابه المسمى « ماكسيم » أي « الحكم » الذي يرجع فيه كل الاعمال والعواطف الى الانانية وحب الذات وال المصلحة الشخصية. وقد ولد في سنة ١٦١٣ وتوفي في سنة ١٦٨٠.

ناصعة بيضاء ، نابية في النقاء ، دون أن يحجبها زخرف ، أو يخفيها طلاء ، ومن غير أن يكون للخيال الروائي والشعري ، أقل دخل في تحويه معالمها ، إذ يبروزها جلية واضحة ، دون ستر ولا عدل ، يقترب الفن الفني ، على قدر الامكان ، من التعبيرات العلمية .

تعمقه الفكري

لكل امرئ مهما عظمت مكانته الأدبية ، حسنات تُذكر فتُشكر ، وسيئات تسرد فتُذم لأن العقل البشري ، مهما أوتي من سعة الادراك ، ليس في وسعه ان يُنتج عملاً كاملاً ، فالنقص صفة ملازمة لطبيعتنا البشرية ، فاذا ما أبدينا مواطن الضعف في لا بريير لا نتوخّى النَيْل من حقه ، ولا غمط فضله ، ولا افقاد الكتاب قيمته ، وإنما نسعى بعملنا هذا ، إلى تحليل نفسية الكاتب ، وتمحيص مقدرته الفنية واظهار ما انطوت عليه جوانحه ، من قوة أو وَهَن :

يتألف كتاب « الأخلاق » من حكم وأمثال ، وصور للاخلاق والعادات ، فقد حذا فيه واضعه حذو « لاروشفوكول » لكنه استخلص الصور والصفات ، وأكسبها شكلها الفني ، وقيمتها الفلسفية ، وبرز في ذلك تبريزاً ، لم يبزه فيه أحد ، لكنه لم يسمُ في الحكم سموّ « لاروشفوكول » بل لبث من الوجهة التفكيرية العامة ، في مستوى أدنى من مستوى غيره من الذين خاضوا موضوعه أو ما يماثله ، فقد فاته « باسكال [1] » بعمق أفكاره وتغلغلها في صميم النفس ، لاظهار بواطنها ، وكشف غوامضها ، لأن « لا بريير » لم يكن ذا قوة تحليلية عظيمة ولم تكن له مقدرة نفسية تمكنه من التسلل الى أعماق القلب البشري ولم يتصف بميزة ذاتية ، يتهيأ له بوساطتها ، الوصول الى الغرائز والطباع لجَلْ ما امتاز به ، صفات ليست بفذة ، لكنها فوق المستوى العمومي ، عصمته من كبير زلل ، لكنها لم تؤهله لعظيم اكتشاف .

ولا يجب أن يؤخذ الانسان بفصله الأخير ، المؤلف من مجموعة آراء وأفكار ممزقة

---

(١) بليز باسكال رياضي وفيلسوف فرنسوي ولد في عام ١٦٢٣ وتوفي في عام ١٦٦٢ قبل أن يتركه به الخاص بالدفاع عن العقائد المسيحية ، فنشرت من الكتاب شذرات تحت عنوان « أفكار » وهو كاتب ومفكر فذ علاوة على اختراعاته واكتشافاته العديدة في الرياضيات .

فلسفية ذهبي مستمدة من آراء أفلاطون وباسكال وديكارت ، ومحوّلة بإلهام كفي الى معانٍ روحية ، لأن هذا الباب مع ما فيه من صحة الرأي ، وصدق الاصابة ، عديم الشخصية ، لا يقوم بنفسه ، ولا يمت الى المؤلف سوى بالتحوير والتبديل ، إذ ما هو الا انعكاس لأفكار الغير ، وظل لآرائهم وأفكارهم .

وكان « لا بريير » نظريًّا أي حاد البصر والبصيرة ، تتأثر عيناه فتخط أنامله ما يعلبه عليه نظره ، وكلما قربت عوامل الملاحظة من متناول يده ، وبدت لنظره المجرد ظاهرة جلية كلما سهلت له رؤيتها وتناولها ، لأنها في هذه الحالة ، تبتعد عن الخيال الفكري ، والتصور النفسي ، اللذين يعروانه ، فقد كان يرى فيخط ما يُدركه بصره ، ويتطلع فيسجّل عما يبدو له ، فهو أشبه برسّام ، ينقل بريشته ما تراه عيناه من الأشياء الحسيّة ، لا ما تتصوره مخيّلته من الأمور المعنوية .

وقد كان شغوفاً بالحياة ومظاهرها ، بغيضاً لشواذها وعيوبها ، يجتهد في استخلاص عاداتها العامة الجليّة ، واستظهار أخلاقها البادية ، دون تطلع الى المستتر منها ، ولا الناتج عنها . فله الظواهر دون البواطن ، وما يبدو لا المُضمَر ، ولذا أجاد في تصوير انسان القرن السابع عشر الذي عاش فيه ، وعجز بشكل نسبي عن التعبير عن الانسان في كل زمان ومكان .

فهذا النقص في التعمق الفلسفي ، وطبعُ الفنان الذي تستهويه الأشكال وتستميله المظاهر الحيّة ، قد حوّلا حقائق كبار المؤلفين المدرسيين ، إلى وقائع تصويرية ، هي أقرب إلى الخيال ، منها إلى أمور واقعة حقيقية .

الروح السائدة في الكتاب

لقد انتقد لا بريير أخلاق أهل عصره بلوائح الجمل ، وفواصل الكلام ، وأبدى لهم تأذيه من عاداتهم ، التي لم يجد فيها حسنة ، لأنها شُيّدت على أسس النقائص والرذائل ، وأُقيمت على دعم الأنانية وحب الذات ، فرتب الشرف تُشترى لتتخذ ذريعة لعدم دفع الضرائب ، والدين مُسخّر عن مجراه وحُرّف اجتياحاته إلى خاطر وحسَكلات ، والأسَر تفككت عرى الصلات بينها ، واتخذ الزواج وسيلة الربح ، فضحيت الفتيات على مذبح

الأغراض الذاتية ، والخيلاء الاجتماعية وحُسن طلبهنّ في الأدبرة دون ارادتهنّ جرّاً المغنم وطلباً لمنفعة ، والعدالة عرجاء سقيمة ، لا ترفع ضَيْماً ، ولا تُبعد ظلماً ، كثيرة الكلفة طويلة المدى ، والانسان بين هذه المساوىء ، يُطلق العنان لميوله ، مجتنياً الحقائق متتبعاً الثرّهات ، لائذاً بالسفاسف ، لا يرى الحق إلاّ في جانب فعاله وأعماله ، ولا يأتي الجلائل إلاّ بأنانية تشوّه محاسنها ، وتقلل من قيمتها ، وهو يقيد ارادته « بالموضة » ويقتني أثرها خانعاً ذليلاً في كل ما يأتيه ، سواءٌ أكان في عوائده أم في طرق معيشته .

وخلاصة القول أن لابريير كان ثائراً على النظم الاجتماعية ، متمرداً على سير الانسانية ، ناضباً على العادات ، حانقاً على الأخلاق ، لا يرى فيما حوله غيراً كاذب ومفتريات ، وثرّهات ومنكرات ، فحمل على هذه النقائص ، وأبداها للعيان بشكلها المُزري ، ومنظرها المنفر فاستنطاها فلاسفة القرن الثامن عشر ، واتخذوها سلاحاً لتقويض دعائم الحكم القديم ، الذي صحح بهذه المُزريات ، فكان لابريير والحالة هذه فيلسوفاً بالمعنى الذي أطلقه فولتير وديدرو على هذه الكلمة .

تبويب الكتاب

لا يسعنا ونحن نُبدي غث الكتاب وسمينه ، إلا أن نظهر أسفنا لما نراه في كتاباتنا العصريين ، من النقص الذي يذهب بمحاسن كتاباتهم ، مهما سمت بلاغة ، وطلت موضوعاً . فجُلهم ان لم يكن كلهم ، لا يحسنون ترتيب أفكارهم ، وتبويب ما يخطونه ، فتبدو تلك أقلامهم مضطربة ، مشوّشة ، بعضها متداخل في بعض ، فيقرأ الانسان في آخرها ، ما سبق أن طالعه في أولها ، ويرى في وسطها ما صرّ به في مستهلها ، فيخرج منها مبلبل الفكر ، لم يعلق في ذهنه شيءٌ منها .

وأما اذا اعتنوا بترتيب ما يكتبون وتبويبه ، فيقرّبوه من ذهن القارىء ، ويرسخوه في ذاكرته ، فيلتهي من القراءة ، وقد ثبت في مخيلته ما طالعه دون أن يجهد نفسه في حفظه ، أو يُتعب ذاته في استظهاره .

وقد وقع لابريير في هذا الخطأ نفسه ، فأهمل ترتيب كتابه وتبويبه ، ولذا بدا نقصه ظاهراً جلياً ، تشوّه محاسنه ، وأنقص مجدنا كبيراً من قيمته ، لأن الكتاب ما هو

إلاّ مذكرات مأخوذة من الحقائق ، فكان المؤلف ينقل ما يراه أمامه من مظاهر المجتمع المتنوعة ، دون أن يعمل الفكر لاستخراج دقائق النفس ، وفحص خوالج الفؤاد ، وعندما أتمّ مؤلفه ، جمع ما دوّنه ، وقسّمه الى فصول كل كل واحد منها بعنوان ، وجعل من مجموعها كتاباً .

ولا ننكر أن ثمة بعض الترتيب ، فهناك مقدمة يبين فيها لا بريير عقيدته الأدبية تليها أبواب الكتاب وكلها وصف وبيان لمختلف درجات الهيئة الاجتماعية ، أولها نفثات الاقلام تليها الكفاءة الشخصية ، ويأتي بعدها العالم أجمع محللاً تحليلاً دقيقاً بعواطفه المبهمة ومشاغله . فباب في النساء ، وآخر في قلب الانسان وما يجيش فيه من العواطف المتباينة ، والأهواء المتضاربة ، ثم الحادثة وما تتطلبه وما تستوجبه ، فطبقات الاجتماع من رجال المال والأعمال الى طبقات الاشراف ، وبعدئذٍ الدولة ووزراء المملكة والملك ، وفصلان في الانسان عموماً والحكم على الظواهر «والموضة» وتحليل بعض العادات والمدن والأدعياء .

ومع ذلك لا نجد في الكتاب تضامناً بين أبوابه ، ولا ارتباطاً بين فصوله ، ولا تسلسلاً في موضوعه ، فاعبك بباب « الحاكم » الكائن في وسطه ، فانه يؤلف نتوءًا بارزاً ، لا يتفق مع مضمونه لمخالفته له مبنىً ومعنىً ، ولا يصح ان يكون وسطاً ترتاح اليه النفس ، وتسكن لديها خواطر القارىء .

ميزات لا بريير

أبدينا مواطن الضعف في لا بريير من الوجهة البسيكولوجية ، وأظهرنا ما مني به من قلة التعمق الفكري وعلينا الآن أن نفيه حقه بإبراز مقدرته ، وما تحلى به من المزايا والصفات التي أهلته لوضع مؤلفه القيّم .

لئن خفي عنه ما يجيش في النفس من عواطف ونزعات لكونها مستترة ، غير ان عينه النفاذة لم تعدم رؤية المظاهر الخارجية المنعكسة عنها ، وهنا تتجلى عبقريته التي لا يدانيه فيها أحد ، فقد توصل بما له من دقة الملاحظة ، وقوة الشعور الحسي الى تصوير الانسان الماثل أمام أعيننا ، بحيث يتجلى لنا منه الانسان الحي ، الذي لا يدركه بصرنا ، ولا تصل

اليه أنظارنا ، فلم تفته في ذلك ملاحظة مهما دقت وصغرت ، وقد أبدى كل شيء ، بطريقة لطيفة ، رشيقة ، تستميل القلوب ، وتستهوي الأفئدة فانتقد حديث المرء ولهجته ، وحركاته وسكناته ، وسيره ومشيته ، وعوائده وطباعه ، وفعاله وأعماله ، حتى ما يعتري وجهه من تقلصات عصبية ، وما تخطه عليه يد الزمن من خطوط وثنايا .

أبدى كل هذا بوسائل حسية أكثر منها معنوية ، حتى انها لترسخ في الذهن ، دون اجهاد فكر ، ولا إكداد عقل ، فلم يجد عندما أراد اظهار السرور . الذي يخالج قلب المحسن ، من البر الذي يأتيه ، سوى تقابل النظرين : نظر فاعل الخير . ونظر مسلمه ، فهما يتخاطبان دون أن يستمدا معونة الألسن ، ومساعدة الشفاه ، فقد قال . لا بوير في ذلك : « ما أشد غبطة المسدي معروفاً ، وأكثر حبوره ، عند ما يقع نظره على نظر المسدى إليه » .

وقد أراد في موضع آخر ، تصوير شناعة الاغتياب ، وابداء فظاعة هذا العمل ، لاسيما وأن أكثر الناس ينهون عما يفعله غيرهم ، ويقعون فيما عابوه على سواهم ، فلم يجد سوى عجوز متبرجة ، واقفة أمام المرآة تزجج حاجبيها ، وتكحل عينيها ، وتحمر خديها ، وتضع على محياها نقط الحسن ، بينما هي تعيب على مثيلاتها ، وعلى غيرهن هذا الصنيع .

فلو عمد لابرير الى فصاحة التعبير ، وسحر البيان ، وأتى بالمعجز الموجز من الكلم هل كان في وسعه أن يظهر لنا دمامة الاغتياب ، وقبح التعرض لأعمال الغير ، في صورة أكثر حيوية ، وبشكل أشد وضوحاً ، وأعظم تأثيراً من هذا الشكل ؟

نظن بل نؤكد أن كل وصف ، مهما سما وعلا ، يقف حاسراً كليلاً أمام هذا التصوير الحسي ، حتى أننا عند ما قرأناه ، لبثنا برهة نستشعه في نفوسنا ، ونستذوقه في عقلنا ، مرددين مثلنا العربي القائل : « ورب اشارة أبلغ من عبارة »

لقد صور لابرير أشخاصه ، بألوان تزهو كلما طال عليها القدم ، حتى أن الواحد منهم ليبدو ازاء القارىء ، كأنه حي ، يأتي فعاله ، ويقوم بأعماله وهذه ناحية من نواحي فنه لأننا نقرأ كتابه ، فيخيل الينا ، أزاء ما نراه من قوة التعبير ، ودقة النظر ، وصدق الملاحظة ، مما يأخذ علينا مشاعرنا ، ويستأثر بأفئدتنا ، ان المؤلف لم ينقل عن أشخاص ما يبدو من مظاهرهم الخارجية ، بل تبطن الى عواطفهم ، فاستخرج دفائنها وساخ في أعماق النفس البشرية فأبدى مكنوناتها .

ونرى اثباتاً لذلك ، أن نأتي بمختارات من الكتاب ، ليلم القارىء بنشأة المؤلف ، كما ألم بصفاته ومميزاته ، فقد جاء في باب « القلب » ما ترجمته :

«الغبطة والحسد نقيضان، لكنهما ينازلان خصماً واحداً، وهو أهلية الغير واستحقاقهم الشخصي، أو ما في أيديهم من متاع، فالأولى عاطفة اختيارية شريفة صادرة عن خلوص نية، وصدق طوية، تجعل النفس فرحة خصبة، بما تقدمه لها من مثال تقتدي به، وتنسج على منواله، فتسمو بها في سماء تجعلها أعلى وأرفع من الشيء الذي تتبعه».

«والثاني — أي الحسد — حركة عنيفة، أشبه بانفجار اجباري، بأهلية وكفاءة، بعيدتين عن نفس الحاسد، تذهب به الى نكران الفضيلة التي يجرمه حتى اذا لم يجد بدّاً من التسليم بها، جرّدها من كل استحقاق، ممكناً منها المديح والثناء الجديرين بها».

وجاء في باب «الأدعياء» ما يأتي:

«ولد الانسان ميّالاً كذّاباً وهبطت الحقيقة من السماء بهيأتها وكمالها، ظاهرة نقية فلم تتعرّف به لاختلافها عنه مبدأ ومرمى، فهو يروح الى زخرف القول مهما بعد عن الحق، وهي تواقة الى الصدق في الجوهر، مهما آذت المجادهة بصحة الواقع، والمرء أناني بالذات، لا يحب الا صنع يديه، فهو ميال الى كل فرية، معجب بكل كذب، إذا حدّث تفنّق، وإذا قص أمعن في المين وإذا سرد واقعة مال أسرف في الزيادة، فحياته الاجتماعية، وصلاته الانسانية، ومعاملاته المدنية كلها رياء ونفاق، ومين واختلاق».

«تجري حادثة بسمعنا وبصرنا، فيقصها أناس عديدون، شاهدوها بأعينهم، فلا يتفق اثنان في الالمام بعرضها، لا بجوهرها، فاذا كان هذا شأننا فيما يجري بين ظهرانينا، فاذا يكون أمرنا، في الحوادث التاريخية التي جرت في السنين الخوالي؟ فهل نثق برواتها؟ وهل نعتقد بصحة كتب التاريخ، التي دوّنها بشرٌ مثلنا، لهم نزعات مثل نزعاتنا، وأنانية مثل أنانيتنا، وميل طبيعي إلى الاغراق والمغالاة، ومسخ الحقائق، وتشويه مجريات الاحوال؟

وقال لابريير في باب «الحاكم والجمهورية»: يجب على السياسي القدير، الذي يعالج أمور الدولة، ان يكون شديد التسلط على عواطفه، كابحاً لما يجيش في نفسه، كتوماً لذات صدره، لا يبدو ظاهره، عما يخفيه باطنه، فيكون والحالة هذه، كالممثل الماهر، الذي لا يتجهّم وجهه إذا حزن، ولا تهش أساريره إذا ربح، لكي لا ترتسم دخائله على صفحة محياه فيتحيّن رائده ما يضمره فؤاده، فيستغله لنفسه، ويحرز الغلبة عليه».

«ويجب أن يكون حليماً بطرق المداراة، فيبعد نظر من يساجله مما تهيّج به نفسه، مبدياً منه اكتراث بما يبغيه ويصبو إليه، ومتمهلاً بكبته على ما يرغب عنه كأنه لا يروم عنه بديلاً، حتى إذا أيأس خصمه منه ميالاً إلى أمر، تمنّع من اتاحته إياه، عارضاً عليه ما طالما رنا هو اليه في قلبه، فيفوز بمناه على أهون سبيل».

« وعليه ان يتعزز جيد مائته من الثروة ، التي قد تسوق صاحبها ، في أكثر الاحيان الى الزلق فيزل لسانه ، بما يريد أن يغمره جنانه ، فيبوء بخيبة المدى ، وتشمل الأماني .

« ولا نريد بذلك أن يكون عيياً ، فيمسك عن الكلام رهبة وخشية ، بل نروم منه اذا شام في نفسه ضعفاً أزاء من يثارله ، ان يحجم عن الاسترسال ، ويلزم السكينة في هيبة ووقار ، متظهراً بسكوته ، مقدرة على مقارعة من يساميه ، فيتيقن هذا بأنه تجاه أخرى ، يزل كلامه ، ولا يلقيه على عواهنه ، فيستشعر منه رهبة ، قد تحمله على التراخي في أمره ، وعدم الاستمساك بما أتى ليناضل عنه »

« أما إذا كان منازله أخرق أورعن ، حمل سكوته على تحمل العي والضعف فتمتلىء جوانحه كبراً ، وتنتفخ أوداجه زهواً ، فيتبسط في حديثه ، دون حذر ، حتى اذا استفرغ ما عنده ، عرف هو ما يريد معرفته ، من قرائن أقواله ، وثنايا حديثه ، فيرد عليه ، بما ينحض حجته ، ويفند براهينه »

وقال في باب « المحادثة » :

« اذا ضمك مجلس . فروح المسامرة تتطلب أن لا تستأثر بالحديث ، مهما أوتيت من ولاقة لسان ، وفصاحة بيان ، بل تترك الوقت لغيرك ليبدوا آراءهم ، ويعبروا عما في نفوسهم ، لأن من يخرج من مجلسك ، منشرح الصدر ، قرير العين بما أبداه من مقدرة كلامية ، وكفاءة خطابية ، يغادرك وفي نفسه منك ، مثل ما به من ذاته ، لأن الانسان لايحب الاعجاب بغير ، قدر ما يحب أن يعجب الغير به ، ويفضل أن يستذب حديثه ، وتستذاق خفة روحه ، على أن يتلمظ منك ، ويأخذ عنك ، ولذا فان اللذة اللطيفة التي تسمو بالنفس هي في جلب السرور للغير ، وادخال الهناء الى قلوبهم دون أن يشعروا بمنة منان ، أو بفضل مستعد » .

هذا غيض من فيض مما في هذا الكتاب القيم الذي لو نقل الى العربية لكان جليل الفائدة عظيم النفع .

ويا حبذا لو عنيت به وزارة المعارف ، وكلفت بترجمته كاتباً قديراً سلس العبارة رشيق الأسلوب ، وقررت تدريسه في مدارسها ، فانها بذلك تفيد الطلبة على اختلاف أعمارهم ودرجاتهم افادة تجل عن الحصر .

(حمزة الزيون) مرجع نيقولا رزق

الموت حلقة تطوّر

ليس التكلم في انفكاك الروح عن عقال الجسم والتلمس عن ماهيتها وسرها وعلاقتها بقوى الكون العجيب المحجب بالأسرار من الأشياء التي تحيد بالمرء عن جادة الوحدانية والتقرب به تكفيراً . بل بالعكس أن محاولة الكشف عن أسرار الطبيعة وعن قوانينها المبدعة الخارقة والانبهار في معرفة العلل والمعلولات لما يبعث في المرء الاكبار والاعجاب بقدرة البارىء المنشىء المصور وذلك بالاطلاع على آياته في خلقه ومما يبعث الفتنة في عبقرية الانسان المفكر على أساس متين لا تضعضعه التيارات والأهواء . إذ لا شيء يحز في نفس العاقل من سيره على غير هدى وحياته بعقيدة غير متمكنة من نفسه وضميره في كل فروع الحياة لأنه ان نهج على غير هواه المعقول فإن حياته — لعمري — عندي تصبح كالقبر لا بل أشد ظلمة وضيقاً .

أسرق هذه المقدمة لأني كتبت في منتطف مارس ١٩٤٨ كلمة وصفت فيها الذرّة بأنها معقل (الروح) أو هذه المادة الحساسة الحية التي لم يتقرّر شكلها وماهيتها علميا بل القول فيها مبني على الاستنتاج العلمي العقلي . وقلت ان قاعدة ارتكازها في نوترونات الذرات وهي الجسور التي تصل الذرات لأي عنصر بعضها ببعض . كما قلت بعد الشرح إن هذه الكتلة النوترونية (أو الجسم) يمكن أن تنفصل من الهيكل المادي الكلي محتوية على قبض روحاني لطيف لا يرى . ولا شك أن انفصال جسم من آخر تقرّره نظرية التطور وحقيقته فجرثومة الحياة بدأت في الدم وتكاثفت وتركزت في الماء والتراب وخرجت بصورة حيوان ونبات على الأرض فانشقت الى فصائل ، ومنها ما تطوّر منها الانسان كما يقول أصحاب النظرية . ويقول أصحاب هذه النظرية أن هذه المادة الحيّة مخزونة في بيض الصلب والترائب عند ما تستقر في رحم الأم يتكوّن منها الجنين ، والجنين في اثناء نموه يعيد تاريخ أسلافه الفصيلي من أصل النشأة حتى اليوم . ولا شك أنه اذا ما وقف تبقى عملية التطور

سارية المفعول حتى نهاية العمر وذلك بواسطة النمو الجسمي والفكري . وعلى هذا أفلا يمكن أن نعتبر الموت وانفصال الهيكل الروحي حلقة من حلقات التطور . إن المثل يوافق على هذا استقرائيًا . أما عمليًا فالحقيقة منطوية في ضمير الغيب ومعلقة على كاهل العلم ومصباحه الوضاح . اذ التجارب أثبتت أن بعض الحيوانات تنفصل عن بعضها مباشرةً بدون بيض أو ولادة ولا أدل على ذلك من تراب (ضد) الحية الذي تتركه عند ما تنمو فكأنها انفلوت من التي أصغر منها . وكذلك حشرة المنزال « Dragon Fly » فان أساسها حشرة تعيش في الماء وعلى الأخص مياه البرك والترع ويأتي طور وقت تصعد على نباتات الماء فتخرج من جسمها الذي يصيح — كالقالب — هنا حشرة المنزال التي لا تزيد على الحشرة الأولى (القالب) سوى الأجنحة كي تطير لتأكل الحوامل الصغيرة . وهذه الحقيقة شاهدتها بعيني إذ وجدت أحدها تخلد تنفصل ولم يبق منها غير رأسها في القالب الأصلي أو الحشرة المائية التي تبقى بعدئذ غير قشر يشبه قشر تراب الحية التي تنفصل منه في الوضعية والنتيجة . وإذن لما كان الانسان حيوانًا ناطقًا تجري عليه سنن الله في الخلقة « ولن تجد لسنة الله تبديلا » أفلا يمكن أن تنفصل روحه بهيكلها اللطيف ذلك الهيكل الذي خاله جبران خليل جبران انيزيًا حين قال :

والموت في الأرض لابن الارض خاتمة وللأثير فهو البدء والظفر

الى هذا الحد نقف وأما ما سيكون بعدئذ في هذا الهيكل وهل يتطور الى فوتونات ثم يرجع الى أصله ويتكتل بعدئذ الى مادة حاوية جرثومة الحياة ليعيد دورتها كما تعود قطرة الماء الخارجة من البحر بخاراً إليه . فهذا موكول لعلم المستقبل وآراء المفكرين .

هذا وقبل أن أختم كلمتي هذه أحب ان أؤكد أن مسألة بقاء الشخصية حقيقة قديمة قررها المصريون القدماء من تأثير الأحلام ورؤية أشخاص موتى وهم كانوا يعملون في تفسيرها وظلت تتناقل حتى أقرتها الأديان السماوية . ودليل أدل على ذلك من البعث ويوم القيامة والحساب ولذا فان البحث فيها أو الخوض في موضوعها لن يمس العقيدة ولا يؤول إلى الكفر بل انما يزيد التمسك بالله قوة على قوة .

البصرة — دكتور البصير

في قرطبة

وقف بعض طلبة وطالبات جامعة برشلونة وعميد المدرسة الصناعية أمام هذه المدرسة Esquela industerial بمنطقة الجامعة التي نزلنا بها مدة إقامتنا ببرشلونة يودعوننا بمظاهر الترحاب والابتهال . وقد عكست وجوههم صفات لهم من حسرة لفراقنا بعد أن قضينا ثلاثة أيام بين ظهرانيهم في زيارات لمعالم المدينة ومعالات غير أقمنها لنا الهيئات الرسمية . وقد أظهر البرشلونيون كل أنواع الكرم والضيافة التي يتسم بها العربي ، ولا غرو فهي منة من صفاتهم التي ورثوها عن العرب . وقد أرادوا أن يوفوا بعض ما عليهم فتجلى ذلك في كرمهم لنا .

السابعة سيارتنا تجول شوارع الجامعة رويداً رويداً حتى بابها الكبير والقوم خلفنا يلوّحون بمناديلهم وداعاً لزملائهم في جامعة كجامعتهم واخوان لهم في الدم وشركائهم في المساهمة في بناء الحضارة الأوربية .

وما تركت سياراتنا شوارع برشلونة الواسعة وراءها مساء اليوم الثامن والعشرين من أغسطس سنة ١٩٤٧ حتى أخذت تنهب الأرض نهباً لتقطع مسافة ثلاثمائة ميل لتحل مرقسطة في صباح اليوم التالي . ولكن هيهات أن تواصل السير دون انقطاع . إنها حقاً لمسافة كبيرة ، ولا بدّ من فترة قصيرة تستريح فيها السفر وتزوّد من الزاد أيضاً . وقد أبى كرم الاسبانيين إلاّ أن يعدّوا لنا غبقاً فاخراً في أفخم نزل مدينة Lerid التي تقع في منتصف الطريق بين برشلونة ومرقسطة وهو نزل لا يقل في نظامه وفخامته عن أكبر الفنادق في القاهرة . تناولنا العشاء بعد منتصف الليل وسط ترحاب أهل النزل وأنغام الموسيقى ، ثم نهض بعض الحاضرين يغنون ويرقصون في دوائر رقصاتهم التقليدية بملابسهم الطويلة . وبعد ذلك استأنفنا السير في هدوء الليل وأغاريد السحر حتى

دخلنا سراجوستا ونزلنا بفندقها Hotel Universo حوالي الساعة الرابعة صباحاً .

ويحسن بالقارىء أن يلم بعض الشيء بأهمية هذه المدينة وخاصة في العهد الاسلامي إذ كان لاستيلاء العرب عليها المفتاح نحو تقدمهم الى سهول فرنسا الجنوبية وذلك لموقع سراجوستا الممتاز . فهي تقع على الضفة الشرقية لنهر الإبرو كما أنها تتوسط المقاطعات الشمالية الشرقية من أسبانيا وعلى صلة مباشرة بالسكك الحديدية لجميع الجهات التي تحيط بها فتتصل بتدريد — عاصمة اسبانيا — في الجنوب الغربي والتي تبعد عنها بنحو ٢١٢ ميلاً ، كما تتصل برشلونة عن طريق نهر الإبرو ومنها الى بورت بو على الحدود الاسبانية وسيربير المقابلة لها على الحدود الفرنسية . كما أنها تتصل بمنطقة البسك في الشمال الغربي من اسبانيا .

ولهذه الأسباب فضلاً عن ميزتها الحربية والتجارية كانت سراجوستا عاصمة لذلك الجزء الشمالي الشرقي من اسبانيا . وقد اختار أغسطس قيصر موقعها الممتاز وبنى فيها تلك المدينة عام ٢٥ ق . م وإليه نسب اسمها سراجوزا أو سراجوستا أو سرقسطة حسب نطق العرب . ثم استولى عليها الرومان والقوطيون حتى حكم العرب ٧١٢ .

وفي هذا العام جهز موسى بن نصير جيشاً في عشرة آلاف من العرب وثمانية آلاف من البربر وعبر البحر سنة ٧١٢ . وبدأ في زحفه بالاستيلاء على جنوب اسبانيا ووسطها حيث التقى بطارق فأنبه وبالغ في اهانته وزجه معنفاً الى ظلام السجن بتهمة الخروج والعصيان . ولكن ما لبث أن فنا عنه ورده إلى منصبه ووضع الاثنان خطة لانتاج ما بقي من اسبانيا ، ثم زحفا نحو الشمال الشرقي — معقل الثوار الثائرين أمام الفتح الاسلامي — فاخترقا ولاية أراجون وافتتح سرقسطة بعد جهد كبير ثم أخذت تتهاوى بعدها المدن الشمالية الواحدة تلو الأخرى كطراكونه وبرشلونه كما مهدت سرقسطة السبيل لموسى بن نصير أن يسير شمالاً فاخترق جبال البرانس فاستولى على بعض المدن الفرنسية كناربون ومنها سار الى جنوب وادي الرون حتى مدينة ليون .

ويقال إنه أراد أن يواصل تقدمه لفتح جنوب أوربا ليصل اسبانيا بتركيا ومنها الى دمشق مقر الخلافة الأموية في الشام وجعل البحر الأبيض بحيرة اسلامية . إلا أن الخلاف دب بين الخلافة وقواد العرب حول هذه المشاورة . واستغلت الأمم المسيحية هذا

الانقسام فتحدث لايقاف تقدم العرب ان لم يستطيعوا ردهم على أعقابهم الى ما وراء جبال البرانس في اسبانيا ثانياً .

وقد تمّ لهم ما أرادوا إذ انتصروا على العرب في موقعة تور في سهول نهر اللوار عند ما انقسم العرب على انفسهم في التنافس للحصول على الغنائم .

وفي داخل اسبانيا نفسها انقسم العرب ثانياً وظهر بينهم بعض الثوار الذين التجأوا الى المناطق الجبلية الشمالية لجمع فلولهم ، وأدّى التنافس بينهم الى استعانة الثوار بملوك الفرنجة . وقد حدث أن دعى سليمان بن يقظان الكلبي أحد الخارجين على عبد الرحمن عامل برشلونة شارلمان ملك الفرنجة وامبراطور الدولة الرومانية المقدسة فيما بعد . فسرعان ما لبى شارلمان الدعوة الاسلامية ليستأصل شأفة الاسلام . لكن الثوار اختلفوا فاشتغلوا عن معاونة الفرنج بقتال بعضهم بعضاً . وزحف شارلمان على سرقسطة وحاصرها . وقد انضمّ حاكمها حسين ابن يحيى الانصاري الى سليمان بن يقظان كما أشرف عبد الرحمن الاموي بجيوشه على سرقسطة وردّ شارلمان بخسارة فادحة وارتاب في أمر الثائر فقبض عليه . وعاد شارلمان بفلوله ، لكنه حين اخترق جبال البرانس هاجم مؤخرة جيشه ابنا سليمان بن يقظان فرقة مؤخرة الفرنج شرّ ممزّق وبذلك هلكت زهرة الجيش الفرنجي وتعرضت مراجوستا بعد ذلك الى عدة انقلابات قوية ، فهاجمها بعض الحونة من العرب كما تعرضت لهجمات الفرنجة لكنها صدّت جميعها وذلك بفضل بعض حكامها الأقوياء وعاصمة في دولة بني هود في القرن الحادي عشر . وظلت مراجوزا (سرقسطة) تحت الحكم الاسلامي بين عامي ٧١٢ — ١١١٨م حين حاصرها الفونسو نحو تسعة شهور فخضعت بعدها للمسيحية .

لم يخل عهد للحكم الاسلامي من فترات هدوء تفرّغ فيها الحكام الى الاهتمام بالشؤون الداخلية في هذه المدينة . فقد شيدوا مسجداً كبيراً شأنهم في ذلك شأن جميع الحكام المسلمين في البلاد التي يفتحونها أو يؤسسونها . وكان أول ما يهتمون به البحث عن مكان لاقامة مسجد به كما فعل سيدنا علي كرّم الله وجهه حينما فتح الكوفة فأنشأ بها مسجداً كما حوّل معاوية كنيسة دمشق الى المسجد الاموي الكبير الحالي ، وعند ما دخل عمرو بن العاص مصر أنشأ جامعه المعروف باسمه بمدينة الفسطاط ، وكذلك سار على هذا المنوال

الولاة المستقلون في شمال أفريقيا في أسبانيا فحوّل عبد الرحمن الأموي الأول نصف كنيسة قرطبة الى مسجد قرطبة الذي اتسع فيما بعد واشتهر في العالم الاسلامي.

وقد حرصت الحكومة الاسبانية على أن تسهل للبعثة المصرية زيارة الآثار الاسلامية وخاصة المساجد أينما وجدت، ثم الكاتدرائيات المسيحية بعد ذلك وغيرها من المعالم المهمة كالمتاحف والجامعات.

وفي مراجوزا زرنا كنيسة Jose Antonio Prima de Rivero وهي تشرف على ميدان فسيح يرتفع برجها العالي الى عنان السماء، وقد دهشنا عند ما رأينا على جدرانها الخارجية بعض تربيعات القيشاني الاسلامية وعليها بعض كلمات كوفية. انها كانت مسجد بني هود الكبير غدر به الزمن وحوّل الى هذه الكنيسة في القرن الثامن عشر. كما اتخذ جانب منها لغرض أكبر مجموعة من المعاد الاسباني الذي يرجع الى القرن الرابع عشر وهم على معظمها قصص تاريخية

***

وفي عصر هذا اليوم حزمنا أمتعتنا واتخذنا أماكننا في سيارتنا وغادرنا نزلنا الذي نزلنا به قاصدين مدريد. وما خرجنا الى ظاهر المدينة حتى وقفت السيارة ثانياً أمام بناء كبير يخفق عليه العلم الاسباني ويقف ببابه اثنان من الجنود بأسلحتهم المدججة. وتساءلنا لما وقفنا في هذا المكان، وما هذا البناء؟ فاذا الجواب يأتي سريعاً انه قصر الجعفرية اتخذته بلدية مراجوزا مقراً لحامية المدينة.

أما هذا البناء فهو قصر جعفر المقتدر الذي بناه بين عام (١٠٤٩ — ١٠٨١) من الطوب الأحمر في ظاهر المدينة ليكون مقراً لبني هود في مرقسطة — كما كانت تسمى حينئذ — عاصمة المقاطعات الشمالية. ولذلك عرف هذا القصر بالجعفرية نسبة إليه. وهو الأثر الاسلامي الفريد في نوعه الذي بقي في مرقسطة الى الآن. ويعد من أقدم الآثار الاسلامية في شمال أسبانيا الموجودة حالياً. كما يعتبر مثال للزخارف العربية في القرن الحادي عشر الميلادي

ولكي تكون على بينة من الأمر هب أنك معنا لنجتاز باب القصر الكبير بين حراسه

الوطنيين يؤدون تحيتهم التقليدية لزائرين ، أبناء أصحاب هذا المجد الخالد . ها نحن الآن في ردهة طويلة يزيدها طولاً حنية كبيرة تتصدر الردهة . وقد زخرفت الجدران بعقود متقاطعة ومجدولة شكل (١) أو على شكل حدوة الفرس على أعمدة بارزة غير مزخرفة كما لم تزخرف أسفل الجدران . ها هي العقود على أرضية نباتية (أرابيسك) وأغصان نباتية وأوراق نخيلية مسننة واضحة تبدو أحياناً ملونة وأحياناً أخرى ملتوية على نفسها في أوضاع منتظمة متناسقة ، وغالباً يظهر بينها براعم زهور أو ورديات أو كوز الصنوبر لا تقل في ابداعها عن زخارف مسجد قرطبة . ومما يسترعي النظر أن هذه الزخارف الجصية قد جددت معظمها . كما نقلت بعض هذه العقود الجصية الى متحف مدريد الأثري كما هو مبين بالشكل رقم (٢)

والى جانب هذه الردهة باب صغير يرتقى إليه بدرجتين يفتح الى مسجد القصر الخاص وهو بناء مربع عليه قبة جميلة لا تزال محتفظة بكثير من رونقها ، ويبدو أن الاسبانيين قد حافظوا على هذا المسجد الصغير كأثر هام للذكرى والتاريخ وحسن رعايتهم للآثار الاسلامية ، ولم يفعلوا به كما فعلوا بأبهاء القصر الأخرى التي ملأوها بالأسلحة والذخيرة .

صعدنا الى الطابق الثاني واجتزنا عدة ردهات بين البنادق المختلفة الأنواع ومدافع برن وتومي وغيرها . وقد مررنا بمخزن الى قاعة العرش وهي قاعة اسلامية بحتة ، ونسم على بابها شعار دولة بني هود . أما داخل القاعة فيتكون سقفها من حشوات رتبت ترتيباً بديعاً على طراز المدجنين ، يحيط بجدرانها طنف جبل ، وقد اتخذها فرديناند وايزابلا ملكا أسبانيا مقراً لهما في القرن الثامن عشر . وبعد أن تفقدنا باقي أجزاء القصر خرجنا من بابه الكبير الذي قيل إنه لا يزال الى الآن بمتحف مدريد الأثري وهو نوع من النحاس الجميل . ثم عدنا الى أماكننا بالسيارة وسرنا على بركة الله قاصدين مدريد تودعنا تحيات قائد الحرس وجنوده لهذه الزيارة الكريمة .

محمد رجب البيلي
دبلوم في الآثار الاسلامية

فبمثل هذه الاتجاهات المتحررة، والأساليب الطريفة يتقدم الشعر المعاصر، ونذكر بخاصة الشعر المسرحي ، وهو ناحية من نواحي الأدب البالغة الأهمية ، والتي لم ينشط لها الشعراء إلاّ مؤخراً ، وإذا كان قد ظهر لشوقي وأبو شادي وعزيز أباظه وسعيد عقل وغيرهم شعر تمثيلي ، الاّ أن صياغته الغالبة هي الصياغة التقليدية ، التي لم تتحرر من عبودية القافية ، وإذا كان هؤلاء الروّاد سقوا الطريق السابلة للشعر المسرحي ، فمن واجب أدباء شباب اليوم أن يهتموا اهتماماً فائقاً بهذه الناحية ، متحررين من الصياغة الكلاسيكية الرتيبة التي تتعب الأذن وترهق الأعصاب كما يقول « جيبير » [1] . وإذا أبى أدباؤنا إلاّ التقيد برواسب العقل الباطن من عشق الصياغة القديمة ، والانمحاق في ميدانها ، فاقرأ لي تقدمنا الشعري السلام .

﴿ المذهب الابتداعي ﴾

والى جانب المذهب الاتباعي سالف الذكر ، وجد المذهب الابتداعي في أوربا ، وسايره طائفة من شعراء الشرق ، ومن خصائص هذا المذهب ، الفرار الى التجربة الباطنية ، والاهتمام بالمرائي الجمالية ، والميل الى الخلق والاصالة ، مع التحرر الأسلوبي ، والتوجه الانفعالي .

وقد اتسمت أعمال كثير من أدبائنا بهذا اللون الابتداعي ، وطبعت بطابع الذاتية والفردية والتأملية والروح الغيبي والصوفي والميل الى الرضا بالبؤس والواقع الوري ، والقدرية وعدم التعقل والكآبة ونداء الموت ، بل الفزع الى الانتحار في بعض الأحايين .

وقد تجلت مظاهر هذا المذهب الابتداعي ، كما يقول دايشي Daiches في مظهرين بارزين ، الرجوع الى الماضي وذكرياته ، واتخاذه مثلاً أعلى ، والفرار الى الطبيعة والانمحاق بها بل الاندماج فيها [2] وهذان المظهران ثمرة من ثمرات فساد المحيط ، هذا الفساد الذي جعل الأدباء الحساسين ، يذهبون الى الماضي حيناً والى الريف والطبيعة حيناً آخر ، أو يتناولون الموضوعات التافهة التي لا صلة لها بالحياة .

---

(1) Les problèmes contemporaine d'Esthetique Par. J. M. Guyau p. 28.
(2) Life & Society — By Daiches, p 170

وهذه المظاهر والسمات ظهرت في أدب الابتداعيين في الشرق، فترشح لنا شعر ابتداعي ناضج، وشعر فج، ولم يخل شعر الاتباعيين من السمات الابتداعية كما نجد ذلك في شعر البارودي أو شوقي أو حافظ لأن الابتداعية لا تقتصر على عصر دون عصر كما يقول «لاسال أبر كرومبي» في كتابه الابتداعية [1] ولا يوجد شاعر عظيم لم تدن الابتداعية بجناحيها على صنيعه الشعري.

وقد حفل الشرق في ربع القرن الأخير بعدد وفير من شعراء الابتداعية، في مصر ولبنان وسوريا والعراق والمهجر، وتجلت سماتها في قصائدهم، ولا يسعنا في هذا المجال، إلا تسجيل بعض النماذج لهذه السمات، وأظهرها الانطواء على النفس، والهرب من الواقع والطيران في دنيا الخيال وتملي ذكريات الماضي البعيدة والاندماج في مرائي الطبيعة أو التهويم فيما وراء الطبيعة.

ومن آيات هذا الهرب ملحمة «شاطئ الاعراف» للشاعر المصري محمد عبد المعطي الهمشري وملحمة «على بساط الريح» لفوزي المعلوف وهما يمثلان الابتداعية في هاتين الملحمتين أجلى تمثيل، ونقتطف الفقرة التالية من ملحمة «على بساط الريح» التي تشهد بفرار الشاعر من آلام الحياة وطيرانه في دنيا الأثير حيث يلتقي بالطير التي تتجمع لمقاتلته فيخاطبها بقوله:

لا تخافي يا طير ما أنا إلا شاعر تطرب الطيور لذكره
زارك اليوم ينشد الراحة في هذا المكون وسحره
فرّ عن أرضه فرارك منها من أذى أهلها وتنكير دهره

* * *

ومن آيات الحنين الى الماضي وذكرياته، نذكر قصيدة للشاعر المهجري «رشيد أيوب» [2] يقول فيها:

لتيتك لما نعبنا الحيام ألا تذكرين زمان اللقاء

---

(1) Romanticism — By Lascelles Abercrombie. Second Edition p. 22

(٢) نشرت بمجلة الاعلى المهجرية - سبتمبر ١٩٣٦

لنمثل هذه الاتجاهات المتحررة والأساليب الطريفة يتقدم الشعر المعاصر، ونذكر بخاصة الشعر المسرحي، وهو ناحية من نواحي الأدب البالغة الأهمية، والتي لم ينتبه لها الشعراء إلاّ متأخراً، وإذا كان قد ظهر لشوقي وأبو شادي وعزيز أباظه وسعيد عقل وغيرهم شعر تمثيلي، الاّ أن صياغته الغالبة هي الصياغة التقليدية، التي لم تتحرر من عبودية القافية، وإذا كان هؤلاء الروّاد قد قطعوا الطريق السابلة للشعر المسرحي، فمن واجب أدباء شباب اليوم أن يهتموا اهتماماً فائقاً بهذه الناحية، متحررين من الصياغة الكلاسيكية الرتيبة التي تتعب الأذن وترهق الأعصاب كما يقول « جيبر » [1]. وإذا أبى أدباؤنا إلاّ التقيد برواسب العقل الباطن من شتى الصياغة القديمة، والانسياق في ميدانها، فاقرأ على تقدمنا الشعري السلام.

﴿ المذهب الابتداعي ﴾

وإلى جانب المذهب الاتباعي سالف الذكر، وجد المذهب الابتداعي في أوربا، وسايره طائفة من شعراء الشرق، ومن خصائص هذا المذهب، الفواد الى التجربة الباطنية، والاهتمام بالمرائي الجمالية، والميل الى الخلق والاصالة، مع التحرر الأسلوبي، والتوجه الانفعالي.

وقد اتسمت أعمال كثير من أدبائنا بهذا اللون الابتداعي، وطبعت بطابع الذاتية والفردية والتأملية والروح الغيبي والصوفي والميل الى الرضا بالبؤس والواقع المرير، والقدرية وعدم التعقل والكآبة ونداء الموت، بل النزوع الى الانتحار في بعض الأحايين.

وقد تجلت مظاهر هذا المذهب الابتداعي، كما يقول دايتشي Daiches في مظهرين بارزين، الرجوع الى الماضي وذكرياته، واتخاذه مثلاً أعلى، واللواذ الى الطبيعة والاتصال بها بل الاندماج فيها [2] وهذان المظهران ثمرة من ثمرات فساد المدن، هذا الفساد الذي جعل الأدباء الحساسين، يذهبون الى الماضي حيناً والى الريف والطبيعة حيناً آخر، أو يتناولون الموضوعات الثانية التي لا صلة لها بالحياة.

---

(1) Les problemes contemporaine d'Esthetique Par. j. M. Guyau p. 23.
(2) Litt. & Society — By Daiches. p 170

وهذه المظاهر والسمات ظهرت في أدب الابتداعيين في الشرق، فترشح لنا شعر ابتداعي فاضح، وشعر فج، ولم يخل شعر الاتباعيين من الصفات الابتداعية كما نجد ذلك في شعر البارودي أو شوقي أو حافظ لأن الابتداعية لا تقتصر على عصر دون عصر كما يقول «لاسال أبر كرومبي» في كتابه الابتداعية [1] ولا يوجد شاعر عظيم لم تدف الابتداعية بجناحيها على صنيعه الشعري.

وقد دخل الشرق في ربع القرن الأخير بعدد وفير من شعراء الابتداعية، في مصر ولبنان وسوريا والعراق والمهجر، وتجلت صفاتها في قصائدهم، ولا يسعنا في هذا المجال، إلا تسجيل بعض النماذج لهذه السمات، وأظهرها الانطواء على النفس، والهرب من الواقع والطيران في دنيا الخيال وتمثل ذكريات الماضي البعيدة والاندماج في مرأى الطبيعة أو التهويم فيما وراء الطبيعة.

ومن آيات هذا الهرب ملحمة «شاطىء الاعراف» للشاعر المصري محمد عبد المعطي الهمشري وملحمة «على بساط الريح» لفوزي المعلوف وهما يمثلان الابتداعية في هاتين الملحمتين أجلى تمثيل، ونقطف الفقرة التالية من ملحمة «على بساط الريح» التي تشهد بفرار الشاعر من آلام الحياة وطيرانه في دنيا الأثير حيث يلتقي بالطير التي تتجمع لمقاتلته فيخاطبها بقوله:

لا تخافي يا طير ما أنا إلا شاعر تطرب الطيور لشعره
زارك اليوم ينشد الراحة في هذا السكون وسحره
فرّ عن أرضه فرارك عنها من أذى أهلها وتنكير دهره

* * *

ومن آيات الحنين الى الماضي وذكرياته، نذكر قصيدة الشاعر المهجري «رشيد أيوب» [2] يقول فيها:

لثمتك لما نصبنا الخيام ألا تذكرين زمان اللقاء

---

(1) Romanticism — By Lasceiles Abercrombie. Second Edition p. 22

(٢) نشرت بمجلة الاندلس الجديدة ـ سبتمبر ١٩٣٦

فأسكرت قلبي بخمر الغرام وخلّدت نفسي بوادي الشقاء

ثم غبت

ألا تذكرين بشط الغدير على صخرة قد جلسنا هناك

ولما انحنيت بصوت الخرير لمحتك في الماء مثل الملاك

حين لمحت

ولما مشينا لنجني الورود بظل فراشاتها الحُوَّم

نَسيتُ فودَّعت هذا الوجود وقلت لأغصانها خيِّمي

ثم نمت !

وأما شعر الطبيعة فوفيرٌ جدًّا في الأدب الشرقي ، والشعر الابتداعي منه هو الشعر الخيالي المجنَّح ، أما الشعر الحقيقي في الطبيعة فلا يُعدُّ إبتداعيًّا [1] ، ومن هذا الشعر الابتداعي في الطبيعة نسجل هذه الأبيات للشاعر المهجري « شكر الله الجر » من قصيدته « هيكل الطبيعة » وهي منشورة في ديوانه « زنابق الفجر » : [2]

وتلي يا طير ألحانك في هذي الصفوح
هو ذا الليل وقد أهرم يمشي كالكسيح
هو ذا الفجر ، وها ريّاه في الوادي تفوح
يا له طفلاً على أرجوحة الأفق يلوح
هزّه من كوّة الراهب فاقوسٌ يصيح
ربَّ ناقوس يجوف الدير أشواقٌ تنوح !

وفضلاً عما تقدم ، فإن الشعر الشرقي يزخر بنماذج ابتداعية تمثل الفرار من الحياة ، والطيران إلى دنيا الوهم وما وراء الطبيعة ، ونمثل لهذه الظاهرة ببعض ما جاء في قصيدة « إلى الشاطئ المجهول » لسيد قطب ، من ديوانه الموسوم باسم القصيدة ، وهو فيها يطير إلى عالم الوهم ، حيث يسبح على ضبابة شاردة وفي صياغة كلاسيكية يقول :

---

(1) Romanticism By Lascelles Abercrombie p. 59.

(٢) عن مجلة « العصبة » العدد ٥ ، يوليو ١٩٢٧

إلى الشاطىء المجهول والعالم الذي ... حننت لمرآه الى الضفة الاخرى
إلى حيث لا تدري إلى حيث لا ترى ... معالمُ للازمان والكون تُستقرا !
إلى حيث « لا حيث » تميز حدوده ... إلى حيث تنسى الناس والكون والدهرا
أهوّم في هذا الخلود وارتقي ... وأسلك في مرآه كالطيف إذ أسري
هنا عالم الأرواح فلتخلع الحجا ... فنغتم فيه الخلد والحب والسحرا !

والملحوظ إن جل شعراء المذهب الابتدائي، من ذوي النزعة الانطوائية، وتجاربهم الشعرية جُلُّها ذاتية، وهذا فارق ما بينهم وبين الاتباعيين، ومن آيات هذه الانطوائية، ما قرأناه للشاب المصري « محمد منير مرزي » وهو شاعر رومانتي رصرف وقد عاش عيشة رومانتية، ومات ميتة رومانتية، إذ يجمع نفسه ويسجل له قصيدته المتحررة « قاب الاحلام » :

« في غفلة من قلبي — حمت الحطام المتناثر في حناياه — ورحت به بعيداً عن رنين الضحكات، وفي غفلة من الليل — لم تمتد إليها الأفنيات المرحة — جئت أحفر مثوى لأحلامي — ثم أجلت عليها التراب — بللته بدموعي — وعدت مغمضاً عيني — مخفيًا عنها قبر أحلامي — وأسرعت نحو النهار، حاسباً إني سأخطر في الدنيا بلا أحلام »

وتبدو هذه الذاتية في أكثر خواطر الشعراء الابتدائيين وفي انتحالاتهم، وفي خواطرهم نستمع إلى هاتين المقطوعتين للشاعر البناني « أمين نخلة » وهو يحدثنا عن « النم » و « الشفة » حديثاً عجباً يقول في مقطوعته « نم » :

أنا لا أصدق أن هذا ... الأحمر المشقوق نم !
بل وردة مبتلة ... حمراء من لثم ودم
أكلامها شفتان ؟ خذ ... روحي وعلقني بنم
إن الشفاه أحبها ... كم مرة قالت نعم !

وفي مقطوعة « الشفة » يقول :

في الأشرفية يوم جئت وجئتها ... تنمي على شفتيك قد جمعتها
ذقت الثمار ونكهة إن لم تكن ... هي نكهة الضب الشهيّ فأحتها

يافوتة حمراء غاصت في فمي ... وشقيقة النعمان ، قد نسوّتها
ملساء مرّ بها اللسان وما درى ... لولا تتبع طعمها لأطعتها
لولا نعومة ما بها وحنوّ ما ... بي في الهوى للقمتها ولكتمتها !

* * *

ومن مظاهر هذه الذاتية أيضاً ما فاض به الشعر الشرقي عامة ، من الآنات والحسرات ، والرغبات الجنسية المكبوتة والشكوى من الزمان واليأس من الحياة بل مناداة الموت تخلصاً من الحياة ، وأكثر ما نجد هذه المظاهر في نفوس الشعراء ، حتى لتودي ببعضهم الى الخيبة أو الى نوع من العُصاب أو الانتحار ، فديوان « خليل شيبوب » الأول كثير الآنات والتأوّهات ، وديوان « ألحان الألم » لفايد العمروسي ، ديوان بكّاء ، وديوان « أغاريد » لمحمد فهمي لا يخلو من الحسرات والرغبات الجموح ، وكذلك « الزورق الحالم » لمختار الوكيل وديوان « صالح جودت » مليء بالنهدات والآوهات . وديوان « الألحان الضائعة » لحسن كامل الصيرفي كثير الزفرات والآلام ، وكذلك ديوان عتيق الأول وكثير من دواوين شعراء البلاد الشرقية الأخرى ، لا تقل نوحة ولهفة وحسرة عما ذكرنا .

ومن شواهد هذه النازعات الرومانتية اليائسة القاتمة ، نذكر شيئاً مما جاء في قصيدة « الليل » لخليل شيبوب ، وما جاء في قصيدة لعبد العزيز عتيق متأوهاً ناعياً منادياً الموت ، يقول الأستاذ خليل شيبوب :

أنا بين الأمراض والحسرات ... ذهبت سنوني وضاعت حياتي
كم دعوت الممات دعوة يأس ... عالماً أن راحتي في مماتي

الى أن قال :

حبذا الموت يا ظلام فإني ... تاعس الحظ قد سئمت حياتي

ويقول عتيق في هذا المعنى :

أواه من نفسي ومن زمني معاً ... أواه لم تجدي إذن أمّاني
يا موت زُر قلبي فليس دار ألم نجد ... فيها سوى الدمعات والأنّات
ولرب موت يستريح به الفتى ... من شرّ عيش لجّ في الأحزان

ومن شواهد اللهفات الغرامية الدليلة ، ما قرأناه لصالح جودت في مثل قصيدته « العيون الزرق » التي جاء في آخرها :

أيها الهاجر من غير سبب لو تجافي ، أنا راضٍ بجفاك
العيون الزرق والشعر الذهب ألجأني يا حبيبي لهواك

أو ما جاء في قصيدة « حسرات » [1] لمحمد فهمي إذ قال :

أتحسر ثائر لوعتي وأنيني وسواكبا من مقلتي وجفوني
الليل ، عاد الليل أنّة ثاكلٍ والصبح ، ليس ضياؤه يعنيني
والصامتات على الغصون غناؤها نوحٌ يثير كوامني وشجوني

الى أن قال :

يا حُرقة الحسرات حسبُك فارحمي هذا الخفوق فداؤه يضنيني !

وعلى مثل هذا الطراز جرى الشاعر الغنائي « أحمد رامي » فعبّر عن لهفات قلبه في سكنة وذلة ، وملأ الجوّ المصري أنيناً وتواحاً ، فاسمع إليه يقول من قصيدته « بين الصراحة والكتمان » [2]

نعم أهوى ولا أُخفي غرامي ومن شرف الهوى أني صريح
وأما إن سئلتُ عن اصطفتني سكتُّ فما استرحتُ ولا أريح
ومن لي أن أقول تعلقتني وقلبُ الغانيات مدًى فسيحُ
تلاقيني فتخلص لي نجيًّا وألمسُ حبها فيا يلوحُ
وتزدحم القلوب على هواها فتنكرني ولي كبدٌ قريحُ

ويدور رامي على هذا المعنى في كثير من قصائده وأغانيه ، كأنما حلا له أن يغني حبه الضائع الذليل في قفص حديدي

ونحن نعجب من هذا الشاعر الذي حبس نفسه باختياره على هذه الأغاني المطلقة ، وقد كان في بدايته الشعرية سبّاقاً الى الشعر الاجتماعي والوجداني والطبيعي ، وذكر له في هذه النواحي قصائده « اللقيط » [3] و « دمعة اليتيم » [4] و « قطعة صلاح الدين » [5] و « الهزار

(١) ديوان « أغاريد » ص ٩٠ (٢) أغاني رامي ص ٢٠٦ (٣) ديوان رامي ص ٨٤
(٤) الديوان ذاته ص ٨٤ (٥) الديوان ذاته ص ٣٢

السجين»[1] و«سنصانة على قبر غريب»[2] وغيرها من القصائد الفذة

ولا نشرق حتى يعرد الى دنيا الحياة، ويتجه بشعره الى مختلف النواحي، ويُنظِّم الاغنية المصرية والاغاني الغربية الشائعة بمتنوع الانفعالات والعواطف ويذهب، كما يقول الاستاذ دريني خشبة[3] في التجديد الى أبعد من الحد الذي وصل إليه، كأن يحاول مثلاً الاغاني القصصية البارعة Ballads التي حُرم منها الشعر المصري الحديث

* * *

وهذه النماذج القليلة التي أوردناها من الشعر المصري تمثل مظهراً من مظاهر الرومانتية مع تفاوت صياغتها بين الكلاسيكية والرومانتية، وقد حفل الشعر الشرقي بكثير من الشواهد على الطابع الرومانتي، ومن أظهر شعراء الرومانتية: أبو القاسم الشابي، وفوزي المعلوف، وهذا الأخير رومانتي صرف كما سبق ذكرنا قريباً، وأبرز شاهد على ذلك قوله وهو ينادي الموت[4]

والآن يا موت اليَّ اقترب ... يا مرحباً بالموثق المُحكَم
مزقْ نسيجي من قيود الأسى ... موثق جسمي في المدى الضيِّق
دعْ شاباً ناضراً فاحتسبْ ... وهاك قلباً ذابلاً فاختبرْ
لم يبق لي في الأرض من بُغيةٍ ... ما الأرض إلاَّ جنةُ الأحمق!

ولا يقف المذهب الرومانتي (الابتدائي) عند هذه الاتجاهات، بل إن أدباءه يتجهون كثيراً الى الشعر الجنسي والى طلب اللذات المباحة للآلام، بل الى الخواطر المريضة المنحرفة، وفي بعض الأحايين يتجهون الى موضوعات تافهة تضع بينهم وبين الحياة برزخاً واسعاً، ومن الشعراء الأبداليين الذين تناولوا اللذات الجنسية في شعرهم عمر أبو ريشة ونزار قباني في سوريا، وغنطوس الرامي في لبنان، ومحمد رشاد راضي وكامل أمين والعوضي الوكيل في مصر، وقد أثبتنا نماذج لأكثرهم، وهي نماذج شعرية بديعة متفوقة. ومن الشعراء الذين تناولوا الخواطر المنحرفة عدد ليس بالقليل، ومن أمثلة هذه الخواطر ما جاء

---

(١) ديوان رأي ص ٥٨ (٢) الديوان ذاته ص ١٢٥ (٣) مجلة الرسالة ٢٨ اغسطس سنة ١٩٤٤
(٤) من كتاب شعر الطبيعة فوزي المعلوف ص ٤٢ قلبي الدامي — صدر عام ١٩٤٨

مثلاً في مقطوعة « مجنون » التي يقول صاحبها في سذاجة الطفل الجريح :

أصبحت والشر في جناني ... يهتف والشر في لساني
وصرت أستعذب المعاصي ... ورحت لا أحفل الأماني
برمت بالناس والزمان ... زهدت في الحب والحنان
سئمت حتى أخي وأختي ... ومن الى العيش أنجباني !

واسمع الى شاعر آخر، يشتاق الى المقبرة ويرى نوراً يشع منها ! ويحن الى زيارتها يقول :

هجع الأنام ولم يزل بجناني ... شوقٌ ملحٌّ دائمُ النيران
يهتز لملكة القبور وما حوت ... من ساكنين تربعوا بأمان
فنهضت أخلو شطرها متيمماً ... في لهفةٍ مجنونةٍ وحنان !
نورٌ هناك يشع من جنباتها ... تيشو الى لمحاته العينان
وتهامسٌ ملء الفضاء أحسه ... متردداً في مسمعي وجناني

ويختمها بقوله :

لله مقبرة ، يرفرف فوقها ... نور اليقين الساحر الفتان
يا نفس صبراً إن طلبت جوارها ... فغداً تُرَيْنَ بها من السكان !

أما اتجاه أدباء الابتداعية الى الموضوعات التافهة ، والاغراب عن أبسط المرائي في حرية يأباها الاتباعيون ، فهو وفير في الشعر الغربي والشرقي الحديث ، ومن نماذج هذه الموضوعات نذكر على سبيل التمثيل « الحمامتان » لخليل مطران ، و « القطة اليتيمة » لأبي شادي ، و « دفة قديمة » لشكري ، ومقطوعة « الفنجان » أو الكلب « بيجو » للعقاد ، والقط « ضرغام » للصيرفي و « الوردة الذابلة » للمازني ، و « الى دودة » لميخائيل نعيمة ، و « فراشتي » لرشيد أيوب ، و « الحجر الصغير » لإيليا أبو ماضي ، و « رثاء زهرة » لفايد العمروسي و « الجمجمة » لابراهيم زكي ، و « رسالة » للدكتور حبيب ثابت ، و « عيون القط » للعوضي الوكيل ، وأمثال هذه الموضوعات وأجناسها وأشباهها كثيرٌ في الشعر الرومانتي الحديث ، وهي قصائد فنية متفاوتة القيمة وقد تمتاز بالإحساس الجمالي ، والرهافة ، وقد

يُمتع بعضها بالخلود في رأي نقّاد الفن الفن ، ولكن النقاد الواقعيين لايعدونها من العيون الأدبية وقد يقدّرونها لصياغتها ، ويبسمون لموضوعها ، بل يأسون لنفاد هذه الصياغات الجميلة والطاقات الشعرية ، في مثل هذه المناحي التي لا ترسل إلى الدنيا إشعاعاً ولا إلى البيئة قوة وحياة .

ونكتفي في هذا العدد بتسجيل قصيدتين مما أسلفنا قريباً ، لشاعرين لم نثبت لهما شيئاً في هذه الدراسة وهي قصيدة « رسالة » [1] وقصيدة « عيون القط »[2]. الأولى للشاعر اللبناني الدكتور حبيب ثابت وهو شاعر عاطفي وله غرام بمثل هذه الموضوعات، وقد تناولها تناولاً فنيّاً رائعاً ، قال :

رسالة في غرفتي نائمة ترجف رجف الطفلة الخائفه
فراشة بيضاء هفهافة في ليلة حائرة عاتمه
حمامة في الفجر طوافة صدّاحة نواحة باسمه
أنشر طول الليل في غرفتي أوراقها الغابقة الناعمه
وألثم الأسود من خدّها مناجياً أحرفه الواجمه
رسالة ألوانها في الدجى مُشيعّةٌ في غرفتي القاتمه
ترسل نوراً مالئاً مخدعي ملاعباً أحلامي الهائمه
بالله ، بالماضي ، بآلامه بالذكريات البيض والناعمه
لا تكتبوا إن حروفه الهوى قاسية يوم النوى ظالمه

والثانية للعوضي الوكيل وفيها له خطرات فكرية نافذة ، وإن كانت لتقلاته غير مستملحة ومرسيقاه غير موحّدة ، وإنه يقول :

النور في عينيك كو ن لا نهائيٌّ بعيد
وأحسّ أني في الفنا ء وأن عينيك الوجود
الكون نورٌ شائعٌ وأرى عيونك بؤرته

(١) مجلة الجمهور اللبنانية العدد ١٠٧ سنة ١٩٣٩ ص ٢٣
(٢) ديوان « نجوة الحياة » للعوضي الوكيل صدر عام ١٩٣٦

جمعته في أحداقها جمع المشاعر لمعته

صنو الضياء جمعته في مقلتين ولمحتين !
وكأنني بك لم تنف ترنو ، ولم أظفر بعيني

وتظل كالقديس تسـ ـتم حين لم يفتح شفه
وتكاد من ظمأ الحنيـ ـين وفرط أن ترشفه !

ونعتقد أن هذه الاتجاهات الرومانتية أثر من آثار الصوفية الغربية المتحكمة في الشرق ، كما أنها ثمرة من ثمار ، ضغط البيئة المحافظة ، التي تحكمها أقلية سعيدة هانئة ، والتي تنظر الى الأدباء والشعراء نظرة بعيدة عن الجد.(1)

ولم يستطع الأدباء المتمردون الارتفاع على ضغط مجتمعهم ، فكانت أحلامهم تتوزع بين الرومانتية والواقعية ، وتتراكب على نفوسهم أطياف الحرب حيناً ، ودفقات الثورة حيناً آخر

ومن أبرز الشواهد على ذلك قصيدة « على ضوء النهى » لازهاوي ، وفيها يثور على صروف الحياة ، ويحاول مصارعتها ولكنه لا يقدر على الاستمرار في ثورته ، وعلى مصارعة البيئة أو الارتفاع عليها ، ولذا نراه يلقي سلاحه ، ويلوذ الى الطبيعة لتضميد آلامه وجراحه . استمع اليه يقول :

ولقد تعبت الحياة فما أذلتني الصروف
وعلى خطاياها وقفت فما أفادني الوقوف
ولقد أكون مصارعاً لخطوبها وأنا الضعيف
أو مدلجاً في ليلها والليل معتكر مخوف
لأجل أن يلقى السعـ ـادة واحدٌ يشقى الألوف ؟!
ما أكثر الانسان حرصاً وهو يشبعه الرغيف ؟

---

(1) Litt. & Society By Daiches — p. 195

عبء الحياة ولا تظن بأنه عبء خفيف
ما زلت أحمله واني ذلك الجسد النحيف
ماذا يفيد الجسم في حاجاته عضو مؤوف
سأنام في حضن الطبيعة فهي لي الأم العطوف !

وعلى أي حال فإن الشعراء أمثال الزهاوي والرصافي وأبو شادي والشابي وعمر أبو ريشة ورشيد معلوف وجورج صيدح وقبلان مكرزل وغيرهم ، في توزعهم بين الأدب الرومانتي والواقعي قد مهدوا مرحلة الانتقال ، الى دنيا الواقع والحياة، ونزلوا من أبراجهم الى أرض الأحياء ، وأكثر هؤلاء الشعراء لم ينهجوا نهجاً واعياً ، ولم يسيروا على مبادىء مبلورة ، وإنما كانت ثورة أغلبهم تفسيراً لتجارب باطنية ، قد تكون عارضة [1] — إلاّ أن الأدب قد غنم منهم تجارب واقعية جديدة ، أو نسبة موحية مثيرة ، فرأيناهم يبشرون الثورة على الأوضاع الفاسدة ، ويتغنون بالآمال الوطنية ، ولا يكتمون فرحتهم بالحياة ، — فالزهاوي مثلاً رفع علم الثورة الطامحة في العراق ، وجاهد التزمت الديني ، ونادى بالتجديد في كثير من شعره ، ومن ذلك قوله :

سئمت كل قديم عرفته في حياتي
إن كان عندك شيء من الجديد فهاتِ

وقد خبّ الرصافي في هذه النواحي ، واحتذل كما احتذل حافظ ابراهيم في مصر بالواقع المحلي ، والشعر الوطني ، وتقريع بني وطنه ،فاستمع إليه مثلاً في قصيدته «ايقاظ الرقود» يقول :

الى كم أنت تهتف بالنشيد وقد أعياك أيقاظ الرقود
فلست وان سددت عرى القصيد بمجدٍ في نشيدك أو مفيد
لأن القوم في غيٍّ بعيد !
اذا أيقظتهم زادوا رقاداً وان أنهضتهم قعدوا وآدا
فسبحان الذي خلق العبادا كأن القوم قد خلقوا جمادا
وهل يخلو الجماد من الجمود !

(1) Romanticism By Lascelles Abercrombie p. 156

وكذلك جرى أبو شادي في هذا التيار ، وتلوّن بعض شعره بالون الواقعي . ونذكر من قصائده ، « الديموقراطية » في ديوانه « مصريات »[1] و« الثالوث المقدس »[2] في ديوانه الأخير « عودة الراعي » وقد استهلها بقوله :

الجهل والفقر والمرض ثالوثنا الباطش المنيع
أعزه بيننا الغرض وصال يستعبد الجموع

وقد رأينا توجهاً من شعرائنا المصريين كهولاً وشباباً الى الناحية السياسية، فرأينا الدكتور ناجي تتفتح نفسه لهذه الناحية ، ورأينا علي محمود طه يترك رومانتيكيته الى الحياة الوطنية ويوفق في بعض شعره في هذه الناحية ، ورأينا صالح جودت يحاول هذه المحاولة ، وكذلك مختار الوكيل ، ولكن نزعتها الرومانتيكية غالبة عليهما ، وشعرها السياسي شعر عابر دفعت إليه أحداث عارضة ، وحبذا لو اقتصرا على شعرهما الغزلي مسايرين طبيعتهما ، وقد أتينا بنماذج غزلية بديعة لصالح جودت، وقد يكون من المناسب هنا أن نتحدث قليلاً عن مختار الوكيل ، ومزاج مختار الرومانتي يتجلى في ديوانه « الزورق الحالم » الذي أخرجه في عام ١٩٣٦ ، حيث نجد قصائده ملونة باللون الغزلي حيناً ، وممتزجة باللون الطبيعي حيناً آخر ، وكثيراً تمتاز بالألم والشجى، ونجد أمثلة لذلك في مثل قصائده « الى جانب المدفأة » و« غرفة الذكرى » ، و« الى السماء » و« الجدول الحالم » وهي من أجود قصائده في الديوان سالف الذكر ، وأما قصائده الجديدة فنذكر منها في « عراب الألم » و « نشوة الألحان » و « موكب الذكريات » ، وجلها تمثل روحه الرومانتي ، ونقطف الفقرة الأولى من « نشوة الألحان » تلك النشوة التي تنتقل الى قلب الشاعر الرومانتي وهو في حضرة الطبيعة يتسمع ألحانها وإنه ليقول فيها :

أنا في نشوة من الأنغام فدعوني بمعانقاً أحلامي
أنا في صمتي الكئيب قريرٌ سابحٌ في عوالم من هُيامي
مستعيد في خاطري ما تقضى من متاعٍ وشقوةٍ في غرامي
أي وحي منغم يتهادى ويناجي الفؤاد في ابتهام

---

(١) ديوان مصريات ص ٢١ (٢) المصدر ذاته ١٤١

لحنه ثائرٌ يداعب روحي وصداه معانقٌ الطامي !

وأما قصيدته « مركب الذكريات » فقد فيقت على المائة بيت وليست أبياتها في استواء واحد ، وموسيقاها غير موحدة وتقطف منها هذه القدة

روضة الشعر كيف أزهارك السـ ـبوم وكيف الطيور في عذباتك
كيف حال البحيرة الضحلة للمـ ـاء وكيف النخيل في جنباتك
كيف دوحاتك البواسق أسدان شعـ ـوراً ، وكيف حال (نهاتك) !
تمتطي الفلك في البحيرة حذ ـ ـلى وتشمُّ العبير من زهراتك !

وفي مثل هذه الموضوعات قد يجيد مختار لأنها تتساوق مع نفسه ، أما في الموضوعات الواقعية مثل قصائده « يا شرق » أو « بني النيل هبوا » أو « في مركب النصر » أو « بعد الحرب » أو « الى أخي » فلم يحالفه التوفيق ، لأنها لم تنبع من نفس بلورتها المبادىء السياسية ، ولهذا نجد عقله فيها يملي عليه دون قلبه فلا نحس عند تلاوتها بهزة ما وتأييداً لهذا نسجل الفقرة الأولى من قصيدته « أخي » وقد جارى فيها قصيدة ميخائيل نعيمه ، وفيها يقول :

أخي قد شاء رب الكون أن يجمع قلبانا
فأسكننا برادٍ فاض بالخيرات ألوانا
وأجرى بيننا نهراً براح الخلد أحيانا
وأهدانا من الألسن ما نزّل قرآنا
ووحّدنا على الأيام وجداناً وإيمانا
وأنزل في جوانحنا ، هوًى يغذو طوايانا !

فمثل هذا الشعر ، وان شافنا موضوعه ، إلاّ أن صياغته لا تهزنا ونحن لا نطالب الشاعر الرومانتي ، ان يتحوّل الى الشعر الواقعي ، إلا إذا وجدت عنده القابلية ، والأساس الحقيقي القائم على شعور مبلور أصيل .

* * *

وربما وجدنا ضالتنا في شعر طائفة من شعراء الشرق من أمثال عمر أبو ريشة في سوريا وقبلان مكرزل في لبنان ، وشفيق معلوف ، وجورج صيدح في المهجر مع تفاوتهم في الصياغة ، وتحادهم في الاتجاه الرومانتي الواقعي .

وأما عمر أبو ريشة ، فقد أمدنا ديوانه الجديد بتجارب موضوعية ملوّنة باللون الروماني ومن ذلك قصيدته « يا شعب » ص ٢٤٧ ، التي يقرع بها الشعب لسوء اختياره رجاله في الانتخابات البرلمانية ، وقصيدته « عرس المجد » ص ١٤٥ . وثم قصيدة أجرى وجهها الى أحد رجالات سوريا ولم يذكر اسمه كان في صفوف المجاهدين ، ثم نقص على عقبيه وقد جاء فيها :

عرفتك في ميادين الجهاد ... صليب العود ممتنع القياد
تنازلك الخطوب فتردريها ... وفي شفتيك بسمات العناد
فكيف تغيرت قدماك حتى ... هويت من الصلاح الى الفساد
أغرّك من متاع العمر عيشٌ ... دقيق الطيب ، مخضلّ الوساد
سل الأحرار هل حنت لكأس ... على ذُلٍّ حناجرها الصوادي ؟

ثم يقول :

تلاشت سكرة اللذات فاخلع ... على عرش المنى ثوب الحداد
لعمرك لن تنام على فراش ... يرجك فيه أشباح البلاد [1]

وأما فدلان مكرزل فقد طالعتنا في ديوانيه ، « الخلود » و « أنا طير شرود » بقطع رومانتية وواقعية بديعة ، وأحسن ما قرأنا له قصيدته « حلم في سجن » وهي قطعة متحررة بديعة الصياغة ، وقد أتينا بنخب منها في هذه الدراسة [2] وكذلك قصيدته « صوت الشهيد » [3] بديوان الخلود ، وقصيدته « لا تغضبي » [4] التي ينتصر فيها لبنت الشعب العاملة في الكوخ حيث الحب والوفاء الحق ، ويزور فيها بجانبه عن طبقته ساكنة القصر ، وأنه ليقول في الفقرة الأخيرة منها :

يا جارتا لا تغضبي إن كنت لا أرعى الجميلا
لي من بنات الشعب عاملة غدوت بها قتيلا

---

(١) ديوان عمر أبو ريشة ص ١٤٣ ، ١٤٤
(٢) تراجع صفحة ٨٣ ، ٨٤ من هذه الدراسة
(٣) ديوان الخلود ص ٢٨ (٤) ديوان الخلود ص ٣٨

الكروخ أنشأنا معاً، نغزو الروابي والحقولا
كحمامتين إذا افترقنا ملأ الدنيا هديلا
والكروخ علّمني الوفاء، فما أطيق لها بديلا
لا تندبي يا جارتي ، أنا أكره العيش الذليلا
أنا لست ممن يسجدون على شفا الشعب الذليلا !

وأما فليب مطلوف ، فقد ألّف العربية بقطع رومانتية ، لا مجال لتسجيل شيء منها ، وقد توجه مؤخراً الى الحياة ، فصوّر الفلاح [1] في قصيدته المسماة بهذا الاسم تصويراً رائعاً إذ قال :

وغنّى الحياة ديونها كرماً وما وُفيتْ ديونُه
وغنى تشقّ الأرض قبضته بعزم لا يخونه
عرق الجباه محى على عينيه فانطبقت جفونه
هلاّ نظرت جبينه كم فيه لؤلؤة تزينه
تسنّت عليه بالدموع عيونه فبكى جبينه !

وأما جورج صيدح فيمدنا بديوانه « النوافل » بقطعات رومانتية وواقعية ، وأسلوبه لا ابتداع فيه ، وانما مزاجه الرومانتي يتجلى لنا في أمثال هذه القصائد « على قمة الجبل » و « شلال نياغرا » و « نعي الوالدة » ص ١١٦ وهي من أجمل قصائده وربما كانت قصيدته جولة ص ١٢٥ خير مثال على روحه الرومانتي وقد جاء في الفقرة الأخيرة منها قوله :

جرى الناس الى المال سعوا وأنا أسعى الى قنص خيال
عسى سائلتُ نفسي هدية ربما أجمع ما يصلح حالي
كلما غامرتُ جاءت خيبتي من ثوب الشعر خطّاراً بالي
فتراني قاعداً عن مطلبي أقطف الاحلام من روض الجمال !

---

(١) مجلة الندوة، سان باولو عدد يوليو ١٩٤٧

كما أن قصيدته « سل المهملات » ص ١٩٩ تعد تجربة شعرية بديعة الخواطر والمعاني وهي من موضوعات الرومانتية التي تهتم بالتجارب ذات الموضوعات العامة

وقد اقترن بهذا المزاج الرومانتي ، ميل الى الحياة والواقع وفي هذه الناحية يعدنا ديوانه سالف الذكر ببنائنة من القصائد الواقعية مثل قصيدته الطليقة « يا مصر » و« جهاد فلسطين » و « تلك البلاد » ص ١١٥ التي جاء فيها :

لا يؤخذ استقلال شعب منحة ... بل عنوة من قبضة استبداد
ولكل شعب حقه في موطن ... أوصى به الأجداد للأحفاد
فليسمعوا صوت الدماء تردّدت ... فيها الشكاية أيما ترداد
وليذكروا تاريخهم وليقرأوا ... تاريخنا في صفحة الآباد
دولٌ تدول ولا تزال عظاتها ... توحي لهم ولنا سبيل رشاد
ما أنفع الذكرى تهيب بقومها ... أن ينزعوا خيراً ليوم حصاد
يا أيها الذكرى تحث شعوبنا ... أن تستعيد مفاخر الأجداد !

وإنما أتينا بهذين النموذجين لصيدح ، لنبان تزعه بين المزاج الرومانتي والواقعي ، وما في شعره من معان جديدة ، وإن كانت صياغته عادية لا جدّة ولا جزالة فيها ، وهو مطالب بأن يحاسب نفسه على هذه الصياغة حساباً عسيراً ، ونخشى أن لا يقوم بهذا الحساب لما طُبع عليه من حب للدعابة والميل الى المفاكهة ، هذا الميل الذي رأينا آثاره في كثير من شعره ، ومن آياته مثلاً قصيدته « ما السبب » ؟ التي يخاطب فيها أحد أصدقائه يقول :

ما ذا دعاك فصرت تر ... عى القلب يا « ديك الحطب » !
أما أنا فكما عهدت ... فوقّ على الاخلاص شبّ
قلي من الذهب المصفّى ... هل سمعت عن الذهب ؟
لكن يحوم على الغواني ... كالفراش على اللهب !!

* * *

ونحن وإن وجدنا بذرات الاتجاه الرافعي تنمو في شعر طائفة من شعراء الشرق الابداعيين ، محاولة أن تبرز الى الحياة والنور ، لتكون قوة من القوى الاجتماعية الدافعة الى التقدم ، إذا بنا نجد من بين هؤلاء الابداعيين ، أفراداً يتكهول على أعقابهم ،

الكوخ أنشأنا معاً، نغزو الروابي والحقولا
كعاشقين إذا افترقنا ملأ الدنيا عويلا
والكوخ علّمني الوفاء، فما أطيق لها بديلا
لا تنعي يا جارتي ، أنا أكره العيش الذليلا
أنا لست ممن يسخنون على شقا الشعب الذليلا !

وأما فليق معلوف ، فقد أتحف العربية بشتى رومانتية ، لا مثال لتسجيل شيء منها ، وقد توجه مؤخراً الى الحياة ، فصوّر الفلاح [1] في قصيدته المسماة بهذا الاسم تصويراً رائعاً إذ قال :

وفّى الحياة ديونها كرماً وما وُفيت ديونه
ومضى تشقّ الأرض قبـ ـضته بعزم لا يخونه
عرق الجهاد همى على عينيه فالتمعت جفونه
هلاّ نظرت جبينه كم فيه لؤلؤة يزينه
ضمّت عليه بالدموع عيونه فبكى جبينه !

وأما جورج صيدح فيمدنا ديوانه « النوافل » بفلتات رومانتية وواقعية ، وأسلوبه لا ابتداع فيه ، وانما مزاجه الرومانتي يتجلى لنا في أمثال هذه القصائد « على قمة الجبل » و « شلال نياغرا » و « نعي الوالدة » ص ١١٦ وهي من أجمل قصائده وربما كانت قصيدته « جولة » ص ١٢٥ خير مثال على روحه الرومانتي وقد جاء في الفقرة الأخيرة منها قوله :

حولي الناس الى المثال سعوا وأنا أسعى الى قنص خيال
عبثاً ساءلتُ نفسي هدئة ربما أجمع ما يصلح حالي
كلما ثرتُ جاءت خيبتي من وثوب الشعر خطّاراً ببالي
فترانـي ثائراً عن مطلبي أقطف الأحلام من روض الخيال !

---

(١) مجلة الندوة، سان باولو عدد يوليو ١٩٤٧

كما أن قصيدته « سل الجبلات » ص ١٩٩ تعد تجربة شعرية بديعة الخواطر والمعاني وهي من سرعيات الرومانسية التي تهتم بالتجارب ذات الموضوعات العادية

وقد اتخذ هذا المزاج الرومانسي ، ميل الى الحياة والواقع وفي هذه الناحية يعدنا ديوانه سالف الذكر ، بطائفة من القصائد الواقعية مثل قصيدته العليقة « في مصر » والجهاد فلسطين » و « تلك البلاد » ص ١١٥ التي جاء فيها :

لا يؤخذ استقلال شعب منحة ... بل عنوة من قبضة استبداد
ولكل شعب حقه في موطن ... أوصى به الأجداد للأحفاد
فليسمعوا صوت الديار تردّدت ... فيها الشكاية أيما ترداد
وليذكروا تاريخهم وليقرأوا ... تاريخنا في صفحة الآباد
دولٌ تدول ولا يزال عظامها ... توحي لهم ولنا سبيل رشاد
ما أنفع الذكرى تهب بقومهم ... أن يزرعوا خيراً ليوم حصاد
ما أنفع الذكرى تحث شعوبنا ... أن تستعيد مفاخر الأجداد !

وإنما أتينا بهذين النموذجين لصديح ، لبيان توزعه بين المزاج الرومانتي والواقعي ، وما في شعره من معان جديدة ، وإن كانت صياغته عادية لا جدّة ولا جزالة فيها ، وهو مطالب بأن يحاسب نفسه على هذه الصياغة حساباً عسيراً ، ونخشى أن لا يشرع بهذا الطلب لما طُبع عليه من حب للدعابة والميل الى المداكبة ، هذا الميل الذي رأينا آثاره في كثير من شعره ، ومن آياته مثلاً قصيدته « ما السبب » ؟ التي يخاطب فيها أحد أصدقائه يقول:

ما ذا دهاك فصرت قا ... سي القلب يا ذيك الخطب ؟ !
أم أنا نكثا عهدنا ... فتيٌّ على الاخلاص شبّ
قلبي من الذهب المصفّى هل صحبت من الذهب ؟
لكن يحوم حمى الغوا ... ني كالفراش على اللهب ! !

* * *

ونحن وإن وجدنا بذرات الاتجاه الواقعي تنمو في شعر طائفة من شعراء الشرق الابداعيين ، محاولة أن تبرز الى الحياة والنور ، لتكون قوة من القوى الاجتماعية الدافعة الى التقدم . إذا بنا نجد من بين هؤلاء الابداعيين ، أفراداً ينكصون على أعقابهم ،

ويخالفون عن بث روح التقدم والتحرر في المجتمع ، متأثرين بضغط البيئة المذبذبة ، أو سحر المادة ، ومن بين هؤلاء نذكر العقاد ، الذي بدأ حياته الأدبية الأولى متحرراً في اتجاهه وآرائه ، وأسلوبه ، مترفعاً عن الامتداح ، جانحاً في شعره أحياناً من الرومانتية والواقعية المتحررة ، ثم حوّلهُ تيار الحياة الجارف عن طريقه الأدبي القويم الى طرائق حلزونية ، فرأيناه يمتدح رجلاً كان له الهجاء ، ويهجو آخر كان له المدح ، ويتناقض في اتجاهاته متأثراً بتناقض البيئة ، ومن شواهد ذلك قصائده الأولى « المجد والثقافة » و« صلاة عابد المال » وهو فيهما يسخر بعبادة المال ، ويرى في الثقافة مع الشرف مجداً ، وفي قصيدته « يوم العقاد »[1] يشيد بإرادة الشعب ، وممثل الشعب ، ويحمل حملات شعواء على معارضيه ، ومما جاء فيها قوله :

أين الذين تواصوا أمس وائتمروا ... وهللوا بينهم والشعب مكتئب
وأيقنوا بالمعالي واستخفهم ... من فرط ما مرّهم ما أيقنت الطرب
أيبصرون ؟ فهذا منظرٌ جللٌ ... أيسمعون ؟ فهذا مسمعٌ عجب
ماذا يقولون ؟ ماذا يفترون غداً ... أخزاهم الله في الدنيا بما كسبوا

ثم يقول مشيداً بإرادة الشعب :

ما يبتغ الشعب لا يدفعه مقتدر ... من الطغاة ولا يمنعه مغتصبُ
فاطلب نصيبك شعب النيل وامضِ له ... وانظر بعينيك ماذا يفعل الدأبُ
ما بين أن تطلبوا المجد المعدّ لكم ... وأن تنالوه إلاّ العزم والطلب

وهؤلاء الذين رماهم بالخزي ، ارتمى في أحضانهم ، وكال لبعض رجالاتهم المدح ، والشعب الذي نادى بصوته وعرف قدره ، لم يعد له عنده قدرٌ ولا حساب . ويرجع هذا التبلبل والانحراف الى ضغط البيئة ، وانعكاس تناقضها على الأدب ، والأدباء ، والى تفسخ الأدباء وعدم تبلور مبادئهم .

ولم نأت بشهد الحق ، بهذا المثال ، انتقاصاً ، ولكننا ابرازاً لظاهرة أدبية اجتماعية من مظاهر الرومانتية التي تميل بالأدباء الى الهرب من الحياة واللواذ الى الخيال والوهم وتحملهم الى الانكماش والانطواء ، والفرار من المسؤولية ، ومن الدنيا الخارجية ، أو تدفع بهم الى

---

(١) ديوان العقاد ص ٢٧٨

تفيء ظلال الطبيعة أو تدعوهم الى التلذذ بالآلام ، والاخلاد الى اليأس ، أو تضطرهم أحياناً الى معالجة ما يجري في المجتمع من ظلم ونفاق وملق واستبداد .

ولقد كان من آثار الرومانتية الوخيمة على الأدباء أن تفرعت عنها اتجاهات أدبية جديدة كونت لها مذاهب جديدة ، نذكر منها ، المذهب الرمزي ، الذي عمل على التحرر الاسلوبي ، والتحرر من الايقاع الروماني ، وخرج شيئاً ما عن الموضوعات التقليدية والخلقية ونشد الجمال المثالي ، واستعان في التعبير على الابهام والايحاء ، ويمكن اعتباره أدباً مترفاً مقصوراً على فئة ارستقراطية مثقفة .

وكان المذهب السريالي ، الذي خرج على المذهبين ، الرومانتي والرمزي خروجاً مطلقاً ، فاعتمد على الحلم ونوازع العقل الباطن . وعبر عن تجاربه الشعرية دون مبالاة بالوزن أو القافية ، وأحياناً عام بالتلقائية التعبيرية ، وكان له اهتمام بالحقل السياسي والاجتماعي ، ولكنه اهتمام سلبي ، واذا كان قد خرج رجاله عن العرف الجاري الناتج عن الكبت والخداع والنفاق الاجتماعي ، وعملوا على التخلص من الكآبة الرومانتية ، وآلامها العربية وتناقضاتها الاجتماعية ، فانهم عادوا الى الطفولة والى تناقضات الشخصية ، بمعنى أنهم عبروا عن نفوسهم تعبيراً تنعكس عليه شخوصهم غير المتزنة [1]

ولما كانت المذاهب الثلاثة السالفة لا تنفع من وراثها للمجتمع البشري ، لأن المذهب الرومانتي مذهب مخدر ، قنوع ذليل ، والمذهب الرمزي مبهم لا يتجاوب معه إلا النوادر ، والمذهب السريالي ، مذهب سلبي في أهدافه ، مُلغز في أسلوبه ، فقد قام مذهب آخر ، هو المذهب الواقعي أو الاجتماعي ، ليكون قوة فاعلة في المجتمع ، عاملة على التقدم الانساني ، وهو مذهب يتقدم الأحداث الاجتماعية ولا يتبعها ، فدوره — كما يقول — دكتور جون لويس John Lewis دور بنائي ، إذ أنه يمد المجتمع بالآراء ، ولهذه الآراء قوة على الجماعات وأثر في تقدمها الاجتماعي [2] وهو ينكر العزلة والانفصال الرومانتي ، ويسخر من الأبراج العاجية ، وينشد التدخل ، والترابط ، والاتصال بالحياة اتصالاً مباشراً ، ويكشف عن الشخوص الحقيقية ، لا الوهمية ، وعن القيم الانسانية الباقية . وسنتحدث في البحث القادم عن أثر هذا المذهب في الشعر الشرقي المعاصر .

---

(١) يمكن مراجعة كتاب « سريال » عن المذهب السريالي ، لمؤلفه الدكتور علي الناصر وآخرين ميسر

(٢) Modern quarterly Miscellany No 1.

﴿ المذهب الواقعي ﴾

والمذهب الواقعي هو، كما قلنا، المذهب الذي ينكر الانطواء والانكماش، والتعليق، في أجواء الخيال، والهيام بدنيا الطبيعة، والاستغراق في الأحلام والشرود، وعدم التعقل بل هو الذي يفتح ذراعيه لدنيا الناس، وعالم الحياة، وما يموج فيه من آلام وأفراح، وأشواق وآمال وهتافات وثورات.

وهو مذهب ليس بالجديد، فقد تناول بعض الاتباعيين في الشرق والغرب بعض نواحيه وحوّم عليه الابداعيون تحويماً خفيفاً، وطلبه المحدثون علاجاً متعدد النواحي وبخاصة أولئكم الذين خرجوا عن فرديتهم وتبلور لديهم الوعي الوطني والاجتماعي والانساني.

وليست صياغته، صياغة مباشرة بحتة، لا فنّ فيها كما يتوهم الواهمون، إنما هي صياغة مثيرة ومقنعة تهتم بالناحية الفنية، كما أسلفنا في صدر هذه الدراسة، والذين كتبوا في فلسفة الواقعية، يرون ضرورة الاهتمام بالناحية الشكلية. وفي هذا الصدد يقول — فردريك انجلز — أنه كلما خفيت آراء المؤلف، كلما كان هذا أدنى الى الفنية [1].

وقد ظهرت في الشرق العربي فئات من الشعر الواقعي، متفاوتة في النوع والاتجاه، فمنها ما غلب عليه الطابع القومي أو الاجتماعي، ومنها ما غلب عليه الاتجاه العام أو الانساني، وصياغتها تتفاوت في الجودة والحساسية، فمنها ما كانت صياغته مباشرة لا اثارة فيها، ومنها ما سمحت بظلال الفن.

ويستحيل علينا تأريخ هذا الاتجاه الجديد في الشرق لأن هذا العمل يتطلب بحثاً مفرداً وجهداً شاقاً، وكل ما نستطيعه، هو أن نلمع الى طائفة من شعراء هذا المذهب ونسجل بعض نماذج لهم، ونذكر على سبيل المثال، الشاعر السوري «بدوي الجبل» والشاعر اللبناني رئيف خوري، والشاعرين العراقيين محمد مهدي الجواهري والسيد محمود الحبوبي والشاعر المهجري «الياس فرحات» وغيرهم كثيرون ومن هؤلاء، من عبر عن الواقع

(1) Materialistic Aesthetics By Karl Blankpe - The Modern Quarterly Summer 1946. p. 75

المحلي الذي لا بقاء له، ومنهم من عبر عن تجارب عامة باقية، وتعابير هؤلاء الشعراء تراوحت بين تصوير الواقع وبين الثورة عليه.

ومن نماذج هذا الشعر المتراوح بين المحلية والعمومية وبين التصوير الواقعي والثورة على الواقع، ما قرأناه في ديوان «السهام»[1] لالياس قنصل وفي ديوان محمود الحبوبي العراقي[2] وفي كثير من قصائد الجواهري وضياء الدخيلي العراقي.

ومما جاء في ديوان «السهام» قصيدة «معاذ الله» ص ٤١ وهو فيها يتحدث عن أسباب التحلل في الحياة السياسية في الشرق، وفي الخنوع للغاصب، وقد جاء فيها:

أرضى بالهوان ونحن قوم ... ملأنا صفحة التاريخ فخرا
بلينا بالتخاذل وهو داء ... عضال ينخر الأخلاق نخرا
فأنهكنا وغادرنا شعوبا ... مؤلفة تجر الذل جرا
ونحن أمام قاصبنا سجود ... ننفذ أمره سرا وجهرا
قيود الذل فلتكسر ويكفي ... على حمل الأذى والذل صبرا

وفي قصيدته «نشيد المجد» ص ١٧ نراه يدعو الى رفع نير الاضطهاد، وعجابة الحياة في بأس وقوة شكيمة، وتطلع الى العلياء، وأنه ليقول:

إلى المجد سر واغنم أكاليل غاره ... بهمة جبار له الخلد مأربُ
وكن قوة يعنو الجلال لبأسها ... ويسبقها من سؤدد الفضل موكبُ

ثم يقول:

وإن بتَّ مهضوم الحقوق ولم تثر ... فلست بذي نفس الى الله تنسبُ
يراها ورقاها لتغدو على الثرى ... خليفته وهو العزيز المغلبُ
وما الموت إلا الضعف والجبن والونى ... وما العيش إلا نيل ما أنت ترغبُ
وما النفس إلا عزة وكرامة ... يظلها من طارف النيل مذهبُ

* * *

والحبوبي في ديوانه المسمى باسمه، نراه في قصيدته يا «مصر» يتحدث الى المصريين

---

(١) ديوان السهام لالياس قنصل الطبعة الثالثة — صدر في عام ١٩٣٠

(٢) تفضل علي بهذا الديوان عند طبعه، الاستاذ الاديب مشكور الاسدي

ويحذرهم من وعود الغاصبين ، ويصور فيها خلتهم وطرائق استهارهم . وفي قصيدته « الحرية » يخاطب الحرية خطاباً قويًّا ، وينادي بالخروج من حجابها يقول :

طال انتظارك فاطلعي لنرى عيداً بلا ملل ولا سأم
والموت للأحرار أطيب من عيش العبيد وذلة الخدم
نام الطغاة وهجعوا وهنا مقل من الأرهاب لم تنم

ثم يقول : فتبلجي كالشمس مشرقة وتحدثي للناس من أمم
واسترجعي لهمُ حقوقهم من كل مغتصب ومغتنم
ودعي الحجاب ورائيه فكم تبقين منه وأنت في حرم

وقد جرى الجواهري شوطاً بعيداً في تصوير الاحداث الاجتماعية ، والثورة عليها ، وربما عُدَّ في الوقت الحاضر ، أكثر شعراء الشرق احتفالاً بهذه الناحية ، وشعره كلاسيكي جزل ، محكم النسج ، وله جماله الخاص ، ولا يتسع المجال لتسجيل أكثر من نموذج واحد له نقتطفه من ملحمته « عالم الغد » وهو ينظر الى هذا العالم بعين الخيال فيصوره معركة تقوم ، وتسفر عن دخان وضباب وتراب هي آثار المجاهدين ، والتي ستكون أداة من أدوات تغيير الأوضاع المتعفنة ، والنفوس المنحلة ، وقد استهلّ هذه الملحمة بقوله :

عالم الغد يا رهين ضباب ودخاناً من نفثة وتراب
وعجاج من المغاني الخراب تحت أنقاضها وجوهٌ كواب
من شيوخ وصبية وكعاب
هي إذ حشرجت ورفت وجيبا وخيالاً للملهمين خصيبا
أمس هذا الضباب كان قلوبا
نابضات بناخات الشباب وهبات من الأماني العذاب
وهي لتكون بعد سوت هذاب بجناح المروّع المرتاب
حلقت كالسحاب فوق السحاب
تمنح الشمس جذوة واشتعالا ومشت في الثرى تزلزل الجبالا
يملأ الأرض غيظها زلزالا تتحدى بثقلها الأثقالا

فتقيل الطغاة والأقيالا والمهازيل في الحرب كالى
هتفات تعرقل الأجيالا وبعوضاً على الدماء عيالا
تتهزّى من ماجن لعاب يتلهى بكأسه والشراب
ساقط فوق غيره كالذباب ذاهل عن دنو يوم الحساب
عصفت بالرءوس والأذناب من عبيد وسادة أرباب

وقد وقعت في يدنا مؤخراً مجموعة للشاعر ضياء الدخيلي العراقي يصور فيها حياة العراق الحاضرة وأحداثها، ويبدو لنا أن هيامه بهذا المنحى، جعله لا يُروّي في التأدية، ولا يهتم بسحر الصياغة، وقد استلفتت نظرنا مقطوعته « اليتيمان » التي يقول فيها :

رقدا على جنب الطريق رداهما بؤس هو الملك المريع المرعب
مدنية شوهاء لا يلوي بها عطف الاخاء بها الجناة تغلبوا

وهذا الاتجاه الواقعي إن دلّ على شيء، فأول ما يدل عليه هو شعور شعراء الشرق بوجوب الخروج من حياة الانكماش والعزلة، وحمل حظ من المسئولية الاجتماعية، ولا بد أن يصاحب هذا الشعور تجاوب حقيقي مع الأحداث الاجتماعية وفهم واسع لها والاعراب عن هذه الأحداث في قوة وجمال، ولن يجود هذا الشعر اذا لم يتحدث الشاعر عن شعور دقاق وتجربة حقة دون التحدث بما ينقله عن الناس أو عن آرائهم، أو أن يعبر عما يسطر في الصحافة أو يدور على المنابر.

وقد سجلنا نموذجاً طيباً لشاعر مصري شاب بعنوان « اصرار »[1] وها نحن أولاء نسجل نموذجاً آخر لشاعر السوري « نذير الحساني » بعنوان « تمرد »[2] وهو نموذج بديع منحرر، يمثل هذا الاتجاه تمثيلاً حقيقيًا، ولو خلا من كثرة الاستطرادات في تجربته، لبلغ مرتبة فنية عالية، ومما جاء فيه قوله :

أنا للكوخ والسرداب، لا للقصر فني
وخلقت الربح في الأعماق ترجيعاً ولحني

(١) راجع صفحة ١٦ من هذه الدراسة (٢) نشر بمجلة الكاتب المصري — يوليو ١٩٤٦

لاحتضار النور في ليل المساكين أغني
وخلاف القوت في بطن الفقير المتعب
ولأنّات المزاني أهدم الدنيا وأبني !

* * *

أنا للبؤس ، وفي البؤس أعاسيري ورزئي
وعلى الغبن ، وفي الغبن تعالي وتعني
أسكب القلب بأقداح المنى لا المغني
قلبي مني ، ولن يُشتق إلاّ اليأسُ مني
أصيدّ في الحق بشعري ، لم أخنه أو يخني !

ويمثل هذا الشعر نفرس بدور الواقعية الشعرية في الشرق ، وبه يخرج الشاعر الشرقي من قوقعته ، ويتصل بالحياة ، وتكبر شخصيته ، ويحمل بعض أعباء المسئولية الاجتماعية ، فيساهم في نقد قوضى المجتمع الشرقي ويعمل على شفائه من البلبلة الحالية ، وعلى مجاهدة جماعاته المتصارعة من أجل أنانيتها المخيفة المنحرفة

ولا أمل في نهضة أدبية مزدهرة ، إلاّ بنهضة اجتماعية وحركة متحررة تقوم على أكتاف الأدباء والشعراء . ولا أمل في كثير من الأدباء كبار الأستاذ الذين أخلدوا الى الجبرية ، ورضوا بالوضع الاجتماعي الظالم الذي آل بهم الى الفرار من دنيا الواقع والانعزال من مسايرة موكب الحياة.

والأمل معقود في الشباب الصاعد الموهوب ، الذي ارتفع بروحه الوثّاب على أوضاع الحياة الحاضرة ، وتبلورت مبادئه الخلقية والروحية والاجتماعية ، وبأقلام مثل هذا الشباب يمكن أن ينهض الشرق نهضة أدبية اجتماعية رائعة . كما نهضت البلاد المتحضرة على نفثات أقلام أدبائها هيناناً وكهولاً أحراراً .

ويمكن تتبع هذا الاتجاه الواقعي في شعر كثير من المحدثين أمثال « ادويس احد بيرا » التركي ، أو لوريكا Lorca الشاعر الاسباني ، أو و . ه . أودين W. H. Auden الانجليزي أو فاليري بريسوف Valeri Bryusov أو مايا كوفسكي Mayakovsky الروسيين وغيرهم ، وكثير

من شعر هؤلاء المحدثين ، يتحدث عن الحياة الواقعية وحاجات البشرية ، ويعتمد الوضوح والسهولة والجمال في الأعراب عن التجارب الشعرية [1] وقد بلغ من شدة تعصب ڤلاديمير ما ياكوڤسكي لهذا الاتجاه ، انه كان يرى ان الفن الذي يتحدث عن الحب والزهر والقصور ، فنٌ زريٌّ ، وانه ليخاطب الكتّاب في إحدى قصائده فيقول : «ماني جعبتكم ؟ وما تكتبون ؟ ان معاون أي عجام ليجد الحياة أكثر شوقاً مما تجدون ، فهلاّ ملتم أيها السادة الشعراء الحب والزهر والقصور ، ولئن كان مثلكم الخالقين ، فاني لا بصق على فنكم ! » .

ولكي اعطي فكرة تقريبية للمذهب الواقعي ، نسجل هنا بعض النماذج من شعر بعض الشعراء الذين أسلفنا ذكرهم قريباً ليدرك القارىء ، ما تتحلى به من صدق وبساطة وجمال أداء وفي خروجها على الصنعة التقليدية وعلى الرؤية الرومانتيكية .

ومن هذه النماذج نذكر قصيدة «حب عامل» [2] لادريس أحمد بيرا وقد جرت كالآتي :

واجهت مائدتي مائدتها
ووافى الصباح خيبتي وحيبتها
وانهمكتْ في عملها الى المساء دون أن ترفع رأسها
وفي صمت ، لبثت طوال النهار جادة عاملة

* * *

ومايضة [3] فتاة شابة مهذبة
أدواتها وكل مالها مرتب في مكانه
لا تضيع قلماً ، ولا تفقد ورقة
ولا تقوم بعمل الاّ بعد تدبر ودقة
وقد تتلاقى نظراتنا حيناً بعد حين
فتغطي الحمرة وجهها ، وتنكس رأسها
وتحتجب عيناها في ذؤابة شعرها الكثّ الفاحم

---

[1] Horizon — The next Stage of Poetry — By Maurice Bowra — July — 1946 : 1

[2] Poesie 46 — avril No 81

[3] مايضة : اسم الفتاة التركية

وذات مرة ، طلبت مني كتاباً
فأخرت لها واحداً ، سطرت خطوطاً تحت بعض قطعه
ولا أدري كيف عرفت قصائدي
هنا وهنا ، دون أن تترك واحدة .

* * *

ويبدو لي أن اتفاقنا الودي قد انعقد
وليس أمامنا إلاّ انتهاء الحرب
حتى يتيسر العيش ، وتتغير الحال
وقد يزداد راتبي ، بمشيئة الله
وبهذا الأمل ، أحييها وأحييني !

* * *

وتعطف بدون اختيار من الشاعر الانجليزي الوافي و . هـ . أودين قصيدته « اللاجئون في غمة » [1] وهو يتناول فيها حال اللاجيء وآلام نفسه وشقائه ، وهو يجمع في قصيدته « خواطر بسيطة » ، ولكنها في مجموعها ، تثمر شعوراً عاماً مؤدياً الى العطف العميق عليهم ، وفيها يقول :

لنقل إن هذه المدينة يسكنها عشرة ملايين نفس
بعضها تسكن القصور الجميلة ، وبعضها تسكن الحقوق
ومع هذا ، فليس فيها مكان لنا ، يا عزيزي ، ليس فيها مكان لنا !

* * *

وكان لنا بالأمس وطن ، وظننا ناعماً طيباً
ونظرة الى الخارطة تجده هناك
ولكن من المستحيل الذهاب إليه الآن يا عزيزي ، من المستحيل الذهاب إليه الآن

* * *

وفي كنيسة قريتي ، نمت شجرة الشوحط العجوز [2]

---

(١) Refugee fa blues

(٢) الشوحط : شجر دائم الاخضرار وهو بالانجليزية Yew

وفي كل ربيع أراها تنمو وتزدهر
وجوازات سفرنا لا تتجدد ، يا عزيزي ، لا تتجدد

* * *

وقد ذهبت يوماً الى لجنة من اللجان ، فأعطوني كرسيًّا
وطلبوا إليَّ في أدب ، أن أعود في العام القابل
ولكن أنّى نذهب اليوم ، يا عزيزي ، أنّى نذهب اليوم

* * *

ووجدت نفسي مرة في اجتماع عام ، فقام خطيب وقال :
لو تركناهم يدخلون ، فسوف يسلبون خبزنا اليومي
انه يتكلم عنك وعني ، يا عزيزي ، انه يتكلم عنك وعني !
وسار على مثل هذه الخواطر وفي الفترة الأخيرة قال :
وسمعت في الغابة ، فرأيت العصافير على الأشجار
ليس لديها عصفورن سياسيون ، وتغني كلها في سرور
وذلك لأنها ، ليست من الجنس البشري ، يا عزيزي ، ليست من الجنس البشري

* * *

ويطالعنا ڤاليري بريسوف ، الروسي بقطعته الفريدة « قاطع الحجر »[1] وهو يبذر فيها بذور التفكير ، والثورة الكامنة في قلب العامل من جهة ، ويظهر من جهة أخرى قدرية العامل ورضائه دون تفكير ، وهذه القطعة تجري في شيء من الرمزية على هيئة حوار متبادل أجراه الشاعر بين فني وعامل ويدور الحوار كالآتي :

يا قاطع الحجر ، يا قاطع الحجر ، يا لابس الأبيض
ما ذا تبني ؟ ولمن ؟
— هيه ، لا تضايقنا ، تعلمنا أن نبني حسناً
فمن هذا الحجر ، نُقيم سجناً

* * *

يا قاطع الحجر ، يا قاطع الحجر ، يامن تسويه أجمل تسوية

(1) The Stonecutter — The Book of Russian Verse, Edited By c. M. Bowra p. 92.—1943

أي إنسان بداخل السجن ، سوف يشق فيه ويهجي ؟
— لن يكون أخاك ، ولن تكون أنت أيها الغني
إذ أنك لن تعرف ، أبداً ، كيف تسرق

* * *

يا قاطع الحجر ، يا قاطع الحجر ، فمن إذن
سوف ينتحب فيه ، ويسهر في ظلامه
— قد يكون ابني ، أو عاملاً مثلي
وهذا هو الحل الذي يقع على كواهلنا

* * *

يا قاطع الحجر ، يا قاطع الحجر
أتظن أن فكر السجين ، سيروح الى الذين هيأوا بناء السجن ؟
— هيه ، انظر الى المرقاة ليست موضعاً للدعابة !
نحن نعرف كل ما تذكر ، فلا تكثر

* * *

وقد وعى الشعر الروسي قطعاً ممتازة ملونة بهذا اللون ، ومن ذلك نذكر قصيدة « الجائع »[1] The Hungry One — لنيكولاي نيكراسوف وهي قصيدة وصفية بديعة عن الفلاح ، وقد جرت كالآتي :

يقف الفلاح ، بنظرة شاحبة ، وأنفاس لاهثة ، يتمايل ويترنح
ومن طعام الأشنة[2] ، والخبز المصنوع من قشور الشجر ، تورّم شكله ، وأظلم وجهه وتقزّزت عيناه وتحدّرت روحه
وبخطوات وئيدة ، كما لو كان في نعاس ، يسعى الى حيث الجويدار[1] ينمو
وعلى حقله ، يلقي نظرة طويلة ، ويقف مغنيًا أغنية صامتة ، « ترعرع ، ترعرع ، أيها الجويدار الرؤوم ، لقد عينتك ، وأنا راعيك
فهبني رغيفاً ، هائل الحجم ، وكعكة متماسكة ، كأمنا الأرض

* * *

(١) The Book of Russian Verse — By Bowra p. 72

(٢) طعام المجاعة : Famine Food

وواضح من هذه النماذج الأربعة التي أسلفنا ، أنها تصور الواقع ، أو تثور عليه ، وصياغتها مع سهولتها لم تفقد سحرها وأسرها ، ومثل هذا الاتجاه لا يقدر عليه إلاّ الموهوبون ذوو الطاقة القوية والذين تبلورت مبادئهم الاجتماعية ، أو أولئكم الذين يمكنهم أن يتعمقوا الأشياء ، ويغوصوا في أغوار الحياة ، ويخرجوا من زبد الحقائق أفكاراً جوهرية ، يصوغونها في صور حية ، كما يقول جوركي ، بل أولئكم الذين اتقدت نفوسهم ، واشتعلت أرواحهم ، وانبثق اللهب في قلوبهم ، كما يقول « بوشكين » رائد الشعر الروماني الواقعي في القرن التاسع عشر في قصيدته « النبي » التي يصف فيها الشاعر الثائر يقول : « جُلت في فلاً روحيّ ملتهب ، جُلت متعباً في وديان مقفرة ، وعجبت اذ رفرف عليّ ملاك مجنّح ، التقى بي في طريق متقطع ، وبلمسة ناعمة كأجنحة النوم ، وضع أصابعه على جفنيّ ، وفتّح عينيّ في انتباه ، كما لو كانت عيني نسر مرتاع ، ولمسَ أذني ، فامتلأ جرساً ودويًّا ، وهنا رأيتُ اهتزاز السكون ، وتطواف الملائكة والحيوان الزاحف والكرمة التي تعلو جانب الوادي — ثم اقترب من فمي وأخرج في عنف لساني الآثم ، الموشى بالغرور والمكر ، وضغط على شفتيّ الواهنتين ، وصوّب اليهما رمحاً ، فسال الدم الأحمر على أصابعه وبهذا الرمح شق صدري ، وأخذ قلبي المرتعب ، ووضع مكانه جمرة متقدة ، وضغط على الجرح المشخن — وهنا رقدت طويلاً كالموتى في الصحراء الواسعة واذ بي أسمع أخيراً صوت الله يقول : قم أيها النبي مشبعاً بتعاليمي ، وكرّ كلك عيوناً وآذاناً ، وسع فوق متن البحار والبراري واملأ قلوب البشر بالكلم الناري المتوهج »

* * *

وإنما وقفنا هذه الوقفة الطويلة توكيداً في باحة الشعر الواقعي لندفع قالة بعض أدبائنا الشرقيين الذين لا يزالون يعتنقون مذهب الفن للفن ، والذين لا يعليب لهم العيش الاّ في السحاب والأبراج العاجية ، والذين لا يرون الشعر إلاّ متعة ، أو تحفة باذخة ، وأنه لا هدف له الاّ أن يحدث فينا هزة ويتلقنا الى عالم أسواره النجوم [1]

---

(١) تراجع مقدمة ديوان « طائرة ورقية » للاستاذ نزار قباني

فهذه نظرة ضيقة الأفق يبسم لها الأدباء المحدثون ، ولا يقرونها ، لأنها لا تكبل الشعر وتقصره على دنيا الخيال ، وعالم الضباب ، وتجعله متخلفاً عن الفنون الرفيعة جميعاً ، تلك التي تتناول كل مظاهر الفكر والشعور والحلم والخيال ، والواقع والحياة

ونظرة فاحصة في الشعر العالمي في الوقت الحاضر ، تظهر لنا أن الشعر لا يتقمص ناحية واحدة ، وإنما يلج جميع الأنحاء ، وموضوعاته غير مقصورة على دنيا الخيال والأحلام ، ولكنها تعتمد مظاهر المجتمع ودنيا السياسة والسيكولوجيا وعالم الكون والانسانية ، وتتناول هذه الموضوعات الجديدة بوسائل شعرية فنية ، ولم يعد الشاعر في العصر الحديث ذلك الطفل غير المسئول — كما يقول دايتشي Daiches في كتابه « الأدب والمجتمع » ولا ذلك الأنسان الذي يتمتع فئة خاصة ويهدهد نفوسها بأغانيه . بل أصبح اليوم رجلاً يشعر شعوراً جديداً بالمسئولية ، وقوة حافزة الى الجهاد والكفاح في الحياة ، والعمال اللهب الوطني في الأمم المستعبدة . والدارس للأدب العالمي يجد أن أغلب الشعر الحديث يتجه الى الحياة والى البشرية (١)

وفي السنين العشرة الأخيرة توجه الشعر الى ناحيتين : الأولى التحدث عن مساوىء المجتمع ، والثانية التحدث عن العلاقة بين الفرد والمجتمع . ومن أشهر من تناول الناحية الأولى من الانجليز و . ه . أودين ، ومن الروسيين بوريس باسترناك Boris Pasternak ، وفي أسبانيا رافائيل ألبرتي ، وغيرهم . ومن أشهر من تناول الناحية الثانية وهي الناحية السيكولوجية . ت . س . إليوت T. S. Eliot وييتس Yeats وغيرهما ، ولم يخل شعر هؤلاء المعاصرين وأمثالهم من التحدث عن الحب وعن الطبيعة ، مع اختلاف في الصياغة فمنهم من مال الى الصياغة المتقنة الماهرة ، ومنهم من هام بالصياغة السهلة العادية المؤثرة والقليل منهم لاذ الى الصياغة الخفية الموحية

* * *

ومن هذه اللمحة الطائرة التي سقناها قريباً ، يتضح أن الشعر العالمي لم يقتصر على ناحية دون ناحية ، ولم يقف عند مذهب دون مذهب أما شعرنا الشرقي فقد تأبى المذهب الاتباعي ، وحاكاه كثيراً ، وتأثر المذهب الابتداعي ، وأخرج فرائد شعرية فيه . وأما المذهب الواقعي فلم يقربه إلاّ قلة من الشعراء ، وقد ظهر لبعض الشباب فلتات نوادر أثبتنا في هذه الدراسة منها مثالين بارعين أحدهما لعنوان « إصرار » للشاعر محمد كمال ، وثانيهما

(1) Horizon — The next Stage of Poetry — By Maurice Bowra.

بعنوان « تمرد » الشاعر نذير اللماعي ، وهناك شعراء آخرون أجادوا في هذه الناحية مثل رئيف خوري في مثل قصيدته « العبد » [1] التي جاء فيها :

أنا المضطهد الصارخ من أعماق حرماني
أنا الباني ولكني أنا المسلوب بلياني
أنا الإنسان مسوخاً يبؤسي ، غير إنسان
أنا العائش كالميت بلا قبر وأكفان
أنا الحافي ، أنا العاري أنا الجائع والظامي
سبيلي ملؤها الأشواك من خطوي وقدامي !

وترجمتنا بشعر الشباب في هذه الناحية وفي غيرها من النواحي التجديدية راجع الى تأميلنا في أن يتقدم بعضهم ريادة الحركة الشعرية التجديدية القابلة ، وليس هذا ببعيد فقد وضع في انجلترا الفتى توماس شترتون Thomas Chatterton بذرة الابتداعية في سن السادسة عشرة وتأثره شعراؤها الجماهيريون [2]

« الخاتمة »

وبعد ، فانا لنلقي القلم ، بعد هذه الجولة الطويلة في الشعر المعاصر وفي مذاهبه الأدبية والنقدية ، والنفس لم تدرك مناها في ترضية كثير من شعراء الشرق حقهم . ولقد أبى ضيق الدراسة علينا إيراد كثير من نماذجهم ، والترجمة لهم ، ولئن حرمت هذه الصفحات من درر كثيرة ، فلن تحرم هذه الدرر من التقدير ، وكفانا جذلاً وحبنا ان حشدنا من النماذج الشرقية مجموعة ضخمة متنوعة تكاد تمثل الجو الفكري السائد في العصر الحديث . وتعد هذه المجموعة مفخرة للشعر الشرقي الحاضر ، إذ انها تزخر بألوان فريدة من الشعر تفوق مرات روائع الشعر العربي القديم ، بل مثيلاتها في الشعر الغربي الحديث

ولو أتيح لهذه الألوان الشعرية المتنوعة عربي متضلع في الأدب الغربي ، ونقل شيئاً من روائع مطران ، وايليا أبو ماضي ، وفوزي المعلوف ، وأبو شادي والجواهري والعقاد ، وناجي ، وعمر أبو ريشة ، وأمين نخلة ، وسعيد عقل ، وحبيب ثابت ، وبشارة الخوري ،

(١) مجلة « الجمهور » القاهرية ، العدد الممتاز ١٠٧ — ١٣ كانون الثاني ١٩٣٩

(2) The Milk of Paradise By Forrest Reid P. 22

وميخائيل نعيمة ، ورشيد أيوب ، وشكر الله الجر ، ونسيب عريضة ، والياس فرحات ، والياس أبو شبكة ، والصيرفي ، والشابي والتيجاني والهمشري وصالح جرديت ، وبدوي الجبل ، وعلي الناصر ، ونزار قباني ، ولعمة قازان ، وفلال مكرزل ، وفؤاد سليمان ، والياس زخريا ، وصلاح لبكي ، وصلاح الأمير ، وعلي محمود طه ، وميخال عقل ، وعبد الرزاق محي الدين ، والسماوي ، والصافي النجفي وغيرهم ممن ضمت هذه الدراسة ومن لم تضم ، لو أتيح لعربي مثقف غيور نقل مجموعة من روائع هؤلاء المحدثين لكان لها شأن خطير وأي خطير .

وقد يكون لمثل هذه المجموعة في لغتها أكبر الخطر ، إذا نشرت وذاعت في البلاد العربية لأنها تعاون معاونة حقة على التبادل الأدبي والتوجيه التجديدي ، موضوعاً وأسلوباً ، وتكون أولى بالدراسة والنقد من كثير من الشعر العربي القديم أو الاتباعي الحديث الذي أفرغت به الرجعية الأدبية في بعض البلاد الشرقية .

وليس ريب في أن الشعر المعاصر المتعدد النواحي يتطلب نقداً ذكياً سليماً متعدد النواحي وقد أبنّا في هذه الدراسة تيارات النقد المختلفة وأساليب النقاد الملتوية ، ومنها يتجلى ضرورة النقد المثقف الذكي ، ومسئولية النقاد في إنصاف الأعمال الأدبية ورعاية كرامة الأدباء .

والحق أن عمل الناقد عويص شاق ، يتطلب كما ذكرنا في بداية هذه الرسالة ، ذكاء وحساسية وثقافة وأفقاً واسعاً ، فعمله لا ينتهي عند تصويب لفظة أو تقويم عبارة أو تصحيح هفوة عروضية ، كما قد يخيّل لأصحاب المذهب الفقهي ، بل إنه يشمل النظر إلى العمل الأدبي نظرة فنية واسعة بالتأمل في تجربة الشاعر والتجاوب معه ومعرفة مدى توفيقه في أداء هذه التجربة ومواءمة الأداء للتجربة ، ثم النظر بعد ذلك في عناصر الصياغة من أخيلة ومعانٍ وموسيقى ووحدة ، وفحص مثل هذه العناصر قد يوجب الرجوع إلى الماضي لتعرّف مدى استقلال الشاعر وإصالته وأمانته وبعده عن التقليد أو المحاكاة أو الانتهاب من غيره ، ولا يقف عمل الناقد عند هذا الحد بل قد يحتاج الناقد في اكمال نقده إلى معونة السيكولوجيا وتعرّف أثر شخصية الشاعر في شعره من الوجهة الموضوعية أو الأسلوبية ، ومعنى هذا أن الناقد لا يحصر نقده على المذهب الفني البحت ، بل يعتمد النظرتين التاريخية والسيكولوجية معاً .

ومن النقاد من لا يكتفي بهذه النظرات السابقة بل يدخل في تقديره أهمية الموضوع وينزله منازله بحسب قداسة هدفه أو خطورته ، فالموضوع الذاتي أو الشخصي لا ينزل منزلة الموضوع العام أو الكوني ، أو الذي تتمثل فيه الطبيعة البشرية ، والموضوع الذي

يحوي أفكاراً مؤقتة طارئة ، لا يبلغ مكانة الموضوع الذي يحوي أفكاراً باقية. وهذه النظرات الجديدة ، هي نظرة النقاد الرائعين ، فإذا ما أضيفت إلى النقدات الفنية السالفة ، كان لها قيمتها في التقدير الكامل للنقد العربي الحديث المعاصر .

وقد يرى القارىء أننا حاولنا في هذه الدراسة أن نوحّد بين النظرات النقدية المختلفة فتحدثنا في إقامة عن النقد الفني ، وطبقنا قواعده ومقاييسه على الشعر المعاصر ، ونظرنا إلى شعر بعض الشعراء نظرة سيكولوجية ، وطبقنا هذه النظرة على بعض نماذج مطران وبشارة الخوري وزكي مبارك وغيرهم . وفي ناحية أخرى من الدراسة حاولنا تطبيق المنهج التاريخي ، فقابلنا بين بعض قصائد شكري والعقاد وتركنا الحكم النهائي في قصيدتين لها لبعث الدارسين ، وقدّمنا في صدر هذه الدراسة صفحات عن المذهب النقدي الواقعي ، وطبقنا بعض وجهاته على شعر حافظ ، ولم نقف أن نقف عند هذه المذاهب النقدية ، بل تحدّثنا حديثاً موجزاً عن المذهب الرمزي والسريالي ، وذكرنا أن هذين المذهبين نظرة تختلف كثيراً عن النظرة النسبية أو الواقعية ، وهي نظرة لا تهتم بنقل التجربة للقارىء ، وتزري بالفكر وباليقظة وتقدر التعبير الأدبي أو الشعري بما يحوي من تجارب الحلم ، واللاشعور ، وما وراء الوعي ، وبتأدية التعبير الأدبي تأدية تلقائية .

وبقية في إغناء الشعر المعاصر وتنويع ألوانه وزيادته غنىً ، عنينا بعض العناية بالتيارات الأدبية الجديدة في الشرق مثل التيار الرمزي والسريالي والواقعي وعنينا الشعراء ذوي الاستعداد والقابلية الى اتجاه هذه النواحي ، واستلهام الحلم واللاشعور حيناً ، وتناول مظاهر الحياة وواقعها حيناً آخر على قدر طاقتهم وأمزجتهم ووفقاً لميولهم المنطوية أو الخارجية أو الجامعة بين الانطوائية والانبساطية . وأوردنا في هذه النواحي بعض النماذج لشعراء جيدين برزوا فيها بروزاً كبيراً .

ونأمل بعد هذه البحوث الثانية وبما وعت من نماذج مختلفة الصياغة أن يتوجه الأدباء وجهة تجديدية طريفة ، موضوعاً وأسلوباً ، وأن يقدر النقاد المسئولية الخطيرة الملقاة على كواهلهم ، وأن تولّى ، الى غير رجعة ، تلكم النقدات الذاتية المنحرفة أو الجزئية القصيرة النظر التي طغت على البيئة الأدبية في الشرق المتوقل لنهضة عصرية باهرة .

فهرس الموضوعات

	ص ٣
البحث الأول — النقد الأدبي ومذاهبه	
توطئة	٣ — ٦
مذاهب النقد	٧
المذهب الفني	٧ — ١٠
المذهب الواقعي	١١ — ١٨
المذهب الفقهي	١٩ — ٢٣
البحث الثاني — مقاييس النقد الفني	٢٤
التجربة الشعرية	٢٤ — ٤٥
الصياغة الشعرية	٤٥
الأخيلة الشعرية	٤٦ — ٥٠
الموسيقى والأسلوب	٥٠ — ٥٦
الألفاظ الشعرية	٥٧ — ٦٦
الأسلوب التقليدي	٦٦ — ٦٨
الشخصية والأسلوب	٦٨ — ٨١
الوحدة الشعرية	٨٢ — ٩١
البحث الثالث — الاتجاهات الشعرية	٩٢
الاتجاهات الراقية	٩٣ — ٩٥
الاتجاهات النازلة	٩٥ — ١٠٢
البحث الرابع — الفكر في الشعر	١٠٣
نماذج ، لخليل مطران	١٠٣ — ١٠٤
« للشرتوني	١٠٤
« لاسماعيل صبري	١٠٤ — ١٠٥
« لمفيد الشوافي	١٠٥
« لأبي شادي	١٠٥ — ١٠٦

رأي هوبسمان في الشعر	ص ١٠٦ — ١٠٧
طغيان الفكر على العاطفة	١٠٧ — ١٠٨
البحث الخامس — الموسيقى الشعرية	١٠٩
موسيقى الزنين	١٠٩
موسيقى الهمس	١١٠
موسيقى الجهر	١١١
تفاوت الأصوات وتفاطيعها	١١١
الموسيقى السلسة	١١٢ — ١١٣
الموسيقى الارتكازية	١١٣ — ١١٥
المسافات الصوتية	١١٦ — ١١٧
الموسيقى الكلية	١١٨
الشعر المقفى والمتحرر	١١٨ — ١٢٤
البحث السادس — الشعر الرمزي	١٢٥
نماذج لفاليري	١٢٧
« لبلوك	١٢٧
« ليتس	١٢٨
« لروبرت بردجز	١٢٨
« لميشال بشير	١٢٩
« لسعيد عقل	١٢٩ — ١٣١
« لايليا أبو ماضي	١٣١
« لنزار قباني	١٣١ — ١٣٤
« لصلاح الأمير	١٣٤
« لحسن كامل الصيرفي	١٣٤
رمزية الدكتور بشر فارس	١٣٥ — ١٣٩
السريالية الشعرية	١٤٠
نماذج لدانيل جاسكوين	١٤٢ — ١٤٣

نماذج لكبريكو	ص ١٤٣
« لكامل أمين	١٤٤ — ١٤٦
« جورج حنين	١٤٦
البحث السابع — نقد الشعر في مصر	١٤٧
كتاب الديوان للمازني والعقاد	١٤٨ — ١٥١
شعر شوقي	١٥١ — ١٥٧
« عبد الرحمن شكري	١٥٨ — ١٦٦
كتاب « على السفود » للرافعي	١٦٧
شعر العقاد	١٦٧ — ١٧٢ و ٢١٢ — ٢١٣
رسائل النقد لزكي مبارك	١٧٢ —
أدباء معاصرون للزعلاوي	١٧٥
شعر أبي شادي	١٧٥ — ١٩٠
حديث الأربعاء للدكتور طه حسين	١٩٠ — ١٩١ و١٩٩ — ٢٠٠ و٢٠٣ — ٢٠٤
شعر حافظ ابراهيم	١٩١ — ١٩٩
« على محمود طه	١٩٩ — ٢٠٣ و ٢١٠ — ٢١١
« الدكتور ابراهيم ناجي	٢٠٣ — ٢٠٦
« محمود أبو الوفا	٢٠٦ — ٢٠٧
كتاب « في الميزان » للدكتور مندور	٢٠٧ — ٢١٠ و ٢١٣ — ٢١٥
شعر محمود حسن اسماعيل	٢١٣ — ٢١٤
بحث الدكتور اسماعيل أدهم عن مطران	٢١٥ — ٢١٧
البحث الثامن — المذاهب الأدبية والنقدية	٢١٨
المذهب الاتباعي (الكلاسيكي)	٢١٨ — ٢٢٥
شعر البارودي	٢١٩ — ٢٢٠
« على الجارم	٢٢١ — ٢٢٢
« محمد الأسمر	٢٢٢
الصياغة المستقلة	٢٢٤ — ٢٢٥

المذهب الابتدائي (الرومانتيكي)	ص ٢٢٥
شعر الهرب والفرار من الواقع	٢٢٦ و٢٢٧ — ٢٢٨
الشعر الذاتي	٢٢٨ — ٢٣١
الشعر الجنسي والمنحرف	٢٣١ — ٢٣٢
شعر الموضوعات التافهة	٢٣٢ — ٢٣٤
بذور الواقعية	٢٣٥ — ٢٤٠
ضغط البيئة على الأدباء	٢٤٠ — ٢٤١
انتكاس الرومانتية	٢٤١ — ٢٤٢
المذهب الواقعي	٢٤٣
نماذج لالياس قنصل	٢٤٤
« الحبوبي	٢٤٤ — ٢٤٥
« الجواهري	٢٤٥ — ٢٤٦
« ضياء الدخيلي	٢٤٦
« نذير الحساني	٢٦٤ — ٢٤٧
لمحة من الشعر الواقعي العالمي	٢٤٧ — ٢٥٢
نماذج لأحمد بيرا	٢٤٨ — ٢٤٩
« ل، و. ه. أودين	٢٤٩ — ٢٥٠
« لتاليري بريسوف	٢٥٠ — ١٥١
« لنيكولاي نيكراسوف	٢٥١
« لبوشكين	٢٥٢
الاتجاهات الفنية الحديثة	٢٥٣
الخاتمة	٢٥٤ — ٢٥٦